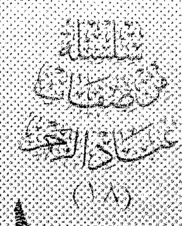
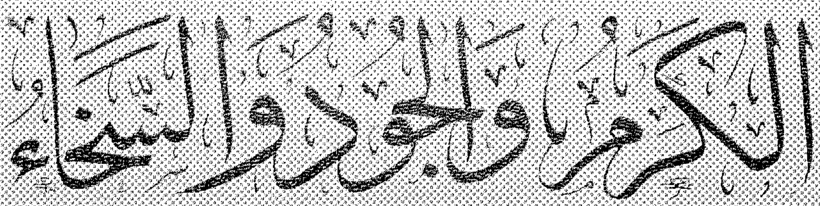
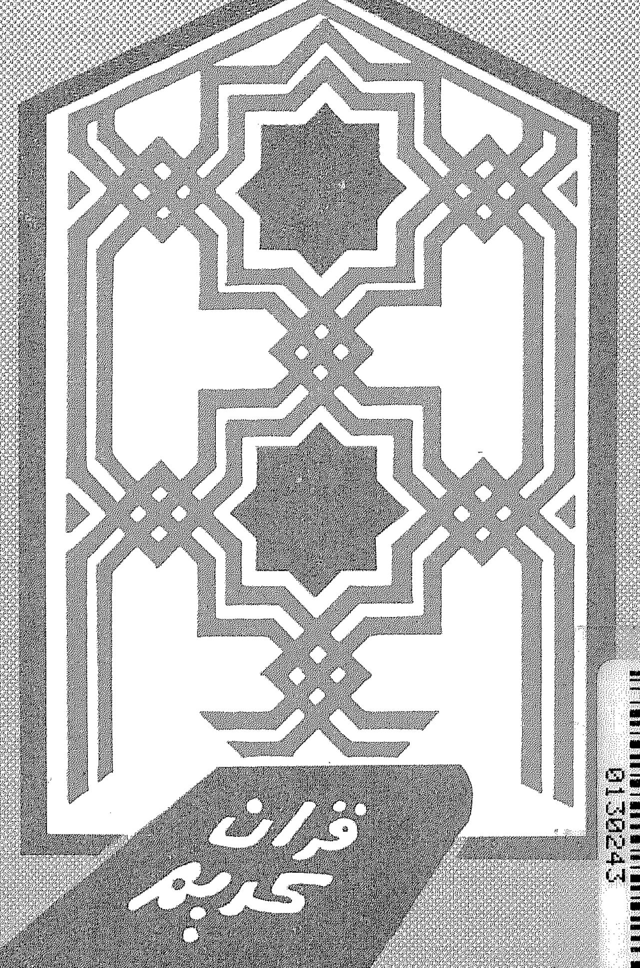


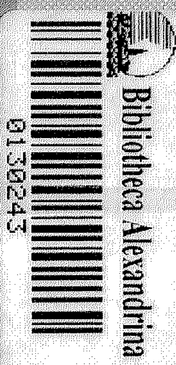




تأليف

سمير حسين حلبي





دار الصحابة للتراث
☎ ٣٣١٥٨٧



سلسلة

من صفات عباد الرحمن

(١٨)





كتاب قد حوى دررًا بعين الحسن ملحوظة
لهذا قلت تنبيهًا

مكتبة الصحابة بطنطا

ت ٣٣١٥٨٧

الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨ هـ



للنشر والتحقيق والتوزيع

أول شارع المديرية - بجوار بنك قناة السويس

١١ شارع محمد فريد

ص.ب : ٤٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رَبَّنا آتِنا مِن لدُنكَ رَحمةً وهيِّئْ لَنا مِن أَمرِنا رَشداً ﴾

المقدمة :

الحمد لله الكريم المنان ، جليل النعم جزيل الإحسان ، ذى الفضل العظيم والخير العميم ، غافر الذنب وقابل التوب ، كثير النعم واسع الكرم .

والصلاة والسلام على خير الأنام : رسول الهداية ونبى الرحمة والوئام ، مصباح الهدى ، وبدر الدجى ، ونور اليقين ، الرسول العربى الأمين ، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، البررة الأطهار المؤمنين ، ومن سلك طريقهم واتبع نهجهم إلى يوم الدين .

صلاة وسلاماً نستشرف بها عظمة ديننا ، ونستلهم القدوة من نبينا ، ونرجو رحمة ربنا .

أما بعـــد :

فإن خير الكلام كلام الله عز وجل ، وأصدق الحديث حديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وقد دعانا الله تعالى فى كتابه العظيم إلى الإنفاق فى سبيله ، والبذل والعطاء من خيره ونيله ، والاقتداء بسنة رسوله .

فقال تعالى :

﴿ يا أَيها الذينَ آمَنوا أنفِقوا ممَّا رزقناكُم مِن قبلِ أن يأتَى يومٌ لا بيعٌ فيهِ ولا خُلةٌ ولا شفاعةٌ والكافرون همُ الظالمون ﴾[1].

وقال جل شأنه :

﴿ لن تَنالوا البرَّ حتى تُنفقوا ممَّا تُحبونَ وما تُنفقوا مِن شيءٍ فإنَّ الله بهِ عَليمٌ ﴾[2].

وقال رسوله الكريم صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

« إنَّ الله تعالى جوادٌ يُحبُّ الجودَ ، ويُحبُّ معالىَ الأخلاقِ ، ويكرهُ سفسَافَهَا »[3].

فالكرم والجود من مكارم الأخلاق ، ومن أفضل الصفات على الإطلاق ، أوصى الله بها نبيه العظيم ، وحثنا عليها فى كتابه الكريم ، وجعلها من دلائل الإيمان ، وشرفها بالذكر فى القرآن ، ومنها جاء الإكرام والتكريم فى كل أمر جليل عظيم .

وهى (من صفات عباد الرحمن) ، الذين بشرهم ربهم بالرحمة والغفران ، وخصّهم بأرفع الدرجات ، ووعدهم بالخلد فى الجنات .

وهى أيضا من الأخلاق العريقة القديمة التى عرفها منذ الأزل أصحاب النفوس العظيمة ، فأكبدوها فى تعاملاتهم ، ومدحوا بها ساداتهم ، وجعلوها دليل الرفعة والفخار ، وغاية المجد والفخار ، لما فيها من الإيثار ،

(١) الآية (٢٥٤) : سورة البقرة .
(٢) الآية (٩٢) : سورة آل عمران .
(٣) أخرجه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى شعب الإيمان وهو صحيح انظر صحيح الجامع

وعلو الهمم والأقدار ، وجعلوها نقيض اللؤم والشنار ، وفى فقدها كل مذمة وعار .

وحينما جاء الإسلام أضفى على الكرم معايير جديدة ، ووجهه نحو مقاصد سامية سديدة ، ونواحٍ عظيمة رشيدة ، فاتجه به إلى القيم الروحية ، والمعانى الدينية ، فلم يعد الباذل يرجو الفخر والثناء من الورى ، وإنما غايته الثواب والجزاء فى الآخرة .

فبرأ الكرم من أدران الرياء والنفاق ، واتجه إلى الله كل بذل أو إنفاق ، فحقق المسلمون أعظم الأمجاد ، وبنوا صرح الحضارة شامخاً للعباد ، يقوم على الأخلاق النبيلة ، والقيم الرفيعة الجليلة .

وبعـــد :

فهذه جولة فى رياض (الكرم والجود والسخاء) ، نستعرض فيها أنواع البذل والعطاء ، ونتفيأ ظلال السماحة والندى ، ونتريض بين أفانين المحبة والهدى ، نستلهم القدوة من نبينا الكريم ، والسلف الصالح العظيم ، أرجو الله أن ينفع بها إخوة فى الدين حتى يلحقوا بركب سلفهم الصالحين ، ويعيدوا مجدهم العريق القديم ، وتاريخهم المشرق العظيم ، فإن مكارم الأخلاق من الأسس القوية والدعائم الشديدة الفتية ، التى بها ترتفع العزائم والهمم ، وتقوى الممالك والأمم .

والله أسأل التوفيق والسداد ، والخير والهدى والرشاد ، إنه تعالى سميع الدعاء ، مجيب الرجاء .

سمير حلبى

* السويس فى : ذى الحجة ١٤٠٨ هـ - يوليو ١٩٨٨ م

الفَصْلُ الأَوَّلُ

- الكَرَمُ والجُودُ والسَّخَاءُ
- الكَرَمُ فِي القُرآنِ الكَرِيمِ

الكرم والجود والسخاء :

سأل معاوية الحسن بن عليّ - رضى الله تعالى عنهم - عن الكرم ، فقال :

- (هو التبرع بالمعروف قبل السؤال ، والرأفة بالسائل مع البذل)[(١)].

وقال الشيخ (محمد أحمد جاد المولى) فى كتابه (الخلق الكامل) :

- (الكرم جامع لمكارم الأخلاق ، فكل خصلة من خصال الخير وخلة من خلال البر وسجية تضاف إلى محاسن الطبائع والأعراف واقعة على اسم الكرم)[(٢)].

وقال أستاذنا (الحوفى) - رحمه الله تعالى - فى كتابه (من أخلاق النبى) :

- (الكرم والجود والسخاء : الإنفاق عن رضا فيما يعظم نفعه وخطره ، أو بذل المال فى سبيل من سبل الخير والبر)[(٣)].

فالكرم مرتبط بالبذل ، قرين العطاء ، وهو من خلال الخير والفطرة ، يدل على سلامة الطبع ونقاء السريرة .

قال بعض الحكماء : أصل المحاسن كلها الكرم ، وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام ، وسخاؤها بما يُملك على الخاص والعام ، وجميع خصال الخير من فروعه[(٤)].

---

(١) المستطرف : [١٧٣] .
(٢) الخلق الكامل : [٤/٢٦٠] .
(٣) من أخلاق النبى : [٩٥] .
(٤) المستطرف : [١٧٣] .

وأمَّا الجود فإنه على ألسنة الورى محمود ، (ولذلك قيل : كفى بالجود حمداً أن اسمه مطلقا لا يقع إلاّ فى حمد ، وكفى بالبخل ذمّاً أن اسمه مطلقا لا يقع إلاّ فى ذم)[١].

يقول (الراغب الأصفهانى) :

– (وحقّ للجود أن يقترن بالإيمان ، فلا شيء أخص به وأشد مجانسة له منه ، فمن صفة المؤمن انشراح الصدر :

﴿ فَمن يُرد الله أن يَهديهُ يَشرحْ صَدرهُ للإسلامِ . و مَن يُردْ أن يُضلَّهُ يجعل صَدرهُ ضيّقاً حَرجاً ﴾[٢].

وهما من صفات الجواد والبخيل ، لأن الجواد يوصف بسعة الصدر للإنفاق ، والبخيل يوصف بضيق الصدر للإمساك[٣].

ويُقسمُ الجودَ على خمسة أضرب :

جود الإله تعالى : وهو البذل لكل أحد على قدر استحقاقه .
وجود الملوك : وهو بسط المال على العفاة غنيهم وفقيرهم .
وجود السوقة – الذين هم دون الملوك – : وهو بذل المال للسؤال .
وجود الصعاليك : وهو البذل للندامى والمعاشرين والشرب .
وجود عوام الناس : وهو الإحسان إلى الأقارب .

والمحمود من ذلك كله الجود الإلهى ، وهو بذل المجود بقدر الطاقة لكل محتاج بقدر استحقاقه من غير امتنان ولا تأذية ، فالمعطى ما يحتاج إليه لمن لا يحتاج إليه مسرف مضيع ، والمعطى غيره شيئا لرهبةٍ واقٍ نفسه ، والمعطى لرغبة فى مثوبة

---

(١) الذريعة : [٤١٣] .
(٢) من الآية (١٢٥) : سورة الأنعام .
(٣) الذريعة : [٤١٣] .

أو لمحمدة دنيوية تاجر[١].

وأمّا السخاء فهو (هيئة للإنسان داعية إلى بذل المقتنيات ، حصل معه البذل أو لم يحصل ، وذلك خلق ، ويقابله الشح ، والجود بذلك المقتنى ويقابله البخل)[٢].

ويقول الشيخ (محمد أحمد جاد المولى) :

– (السخاء حال للنفس تدعو صاحبها إلى البذل فى موطن العرف على قدر ما ينبغى ، ويتفاوت السخاء بتفاوت الناس فى مراتب الثروة ، فليس الذى يعطيه صاحب الألف كالذى يعطيه صاحب المائة ، فإن هما تساويا فى الإعطاء عُدَّ الأوَّل بخيلاً والثانى كريما)[٣].

وفى (تعريفات الجرجانى) :

(الكرم هو الإعطاء بالسهولة)[٤].

والكريم عنده هو (من يوصل النفع بلاعوض ، فالكرم هو إفادة ما ينبغى لا لغرض ، فمن يهب المال لعوض جلباً للنفع أو خلاصاً عن الذم فليس بكريم)[٥].

والجود عنده هو (صفة هى مبدأ إفادة ما ينبغى لا لعوض ، فلو وهب واحد كتابه من غير أهله أو من أهله لغرض دنيوى أو أخروى لا يكون جوداً)[٦].

فهو لم يفرق بين معنى الكرم والجود ، وإنما جعل كلاً منهما مرادفاً للآخر ،

---

(١) السابق : [٤١٥] .
(٢) السابق : [٤١٢] .
(٣) الخلق الكامل : [٤/٢٦٢] .
(٤) التعريفات : [١٩٢] .
(٥) السابق : [١٩٣] .
(٦) السابق : [٨٤] .

على غير ما ذهب إليه القاضى عياض من أن ألفاظ الكرم والجود والسخاء متقاربة المعانى ، وذكر أن بعضهم فرق بينها ؛ فجعلوا الكرم الإنفاق بطيب النفس ، وسَمُّوه هدية ، وهو ضد النذالة ، وإن السخاء سهولة الإنفاق ، وتجنب اكتساب ما لا يحمد ، وهو الجود ، وهو ضد التقتير ، وإن السماحة التجافى عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس ، وهو ضد الشكاية)[١].

ولكن المعاجم اللغوية وكتب الأدب واللغة لا تجيز هذه التفرقة بين مدلول تلك الألفاظ ، وإنما هى ألفاظ مترادفة المعانى .

(يقال : فلان سخى ، (والجمع أسخياء) ، وسمح ، (والجمع سمحاء) ، وجواد ، (والجمع جُوَدَاء وأجواد وأجاود) ، وهو معطاء ، وخِرْقٌ ، وفياض ، ومُرَزَّأ ، وهو طلق اليدين ، ورحب الصدر ، ورحب السِّرب .

وهو رحب اليدين وسبط الأنامل ، وندى الكفين ، ورحب الذراع ، وواسع الباع ، وواسع البلد والفناء ، وموطأ الأكناف ، وأريحى .

وهو مخلف متلف ، ومفيد مبيد ، وجواد لا يليق درهما ، وواسع الفضاء ، ورحب العطن ، لم أر مثله أوسع كفا لطالب ، ولا أطول يداً بمعروف)[٢].

ويقول (الثعالبى) نقلاً عن (الجوهرى) :

(الغَيدَاقُ : الكريم الجواد الواسع الخلق الكثير العطية .

السَّمَيْدَعُ والجَحْجَاحُ نحوه .

الأريحى : الذى يرتاح للندى .

الخِضْرَمُ : الكثير العطية .

اللُّهمُومُ : الواسع الصدر .

الأفِقُ : الذى بلغ النهاية فى الكرم)[٣].

---

(١) الشفا : [١/٨٥] .

(٢) الألفاظ الكتابية : [٩٤،٩٥] .

(٣) فقه اللغة : [١٤٦] .

وفى (اللسان) عن (ابن سِيدَهْ) :

(الكرمُ نقيضُ اللؤم يكون فى الرجل بنفسه ، وإن لم يكن له آباء ، ويستعمل فى الخيل والإبل والشجر وغيرها من الجواهر إذا عنوا العتق ، وأصله فى الناس)[1].

وذكر أن السخاء والسخاوة : الجود ، (والسخى : الجواد ، والجمع أسخياء)[2].

ويقال : (إن السخاء مأخوذ من السخو ، وهو الموضع الذى يُوَسَّعُ تحت القدر ، ليتمكن الوقود ، لأن الصدر أيضا يتسع للعطية)[3].

وفى (القاموس) :

(الكَرَمُ) محرّكة ضد اللؤم . كَرُمَ - بضم الرَّاءِ - كرامة وكرماً وكَرَمةً محركتين فهو كريم وكريمَةٌ وكِرْمةٌ بالكسر ، ومُكرَمٌ ومُكْرَمَةٌ وكُرام)[4].

وجاء فيه :

(جاد (يجود) جُودَةً وجوَدةً صار جيداً وأجاده غيره وأجوده ، وجاد وأجاد أتى بالجيد فهو مجْوَادٌ ، واستجاده وجده أو طلبه جيداً ، والجواد السخى والسخية)[5].

يقول القاضى (عياض) :

(أصل الكرم الجمع والكثرة للخير ، ومنه سمى الرجل كريماً لكثرة خيره ونخلةٌ كريمة لكثرة حملها .

---

(١) لسان العرب : مادة (كرم) - [٣٨٦١/٥] .

(٢)،(٣) اللسان : مادة (سخا) - [١٩٦٧/٣] .

(٤) القاموس المحيط : مادة (كرم) - [١٧١/٤] .

(٥) القاموس : مادة (جود)- [٢٩٥/١] .

فكان المؤمن أولى بهذه الصفة ، وقد خصّ ذلك عمر بقوله :

- كرم المؤمن تقواه .

إذ هو شرفه وجماع خيره)[1] .

ويقول (أبو هلال العسكرى) :

(الجود إذا كان عن يسار وجِدَة ، وإثراء وَسَعَة ، واجب لا يسع الإخلال به ، ولا يجمل التقصير فيه ، والمشاهد أن المرء إذا أمسك مع الكثرة ، وبخل مع الثروة تناوله اللوم من كل وجه ، وانتزع إليه الذم من كل جانب ، فهو المدفوع إلى السماحة المحمول على الإنالة ؛ ليبعد عن اللوم ، وينزه عن الذم ؛ وليس يدل بذله وإن جزل ، وبره وإن كمل على كرم أصلى ، وسماح عنصرى ، كما يدل عليه جُهد المقل ، ومواساة المخل ، ومن لم يُعط من اليسير ، لم يعط من الكثير)[2] .

---

(١) مشارق الأنوار : [٣٣٩/١] .

(٢) فضل العطاء على العسر : [١٤] .

الكرم في القرآن الكريم :

وردت مادة (كرم) – بمشتقاتها المختلفة – فى القرآن الكريم سبعاً وأربعين مرَّةً على النحو التالى :

– الفعل الماضى (كَرَّمَ) مرتين :

الأولى مع تاء الفاعل ، فى قوله تعالى :

﴿ قال أرأيتكَ هَذا الذى كَرَّمتَ عَلَىَّ ﴾[1].

والثانية مع نا الفاعلين – على سبيل تعظيم المولى عزّ وجلّ لذاته – فى قوله :

﴿ ولقد كرمنا بنى آدمَ وحملناهم فى البرِّ والبحرِ ﴾[2].

– الفعل الماضى (أَكْرَمَ) مرتين ، فى قوله تعالى :

﴿ فأما الإنسانُ إذا ما ابتلاهُ ربهُ فأكرمهُ ونعمهُ فيقولُ ربى أكرمنِ ﴾[3].

– الفعل المضارع (يُكْرِمُ) مرة واحدة مع واو الجماعة فى حالة الخطاب ، فى قوله تعالى :

﴿ كَلاَّ بَلْ لا تُكرمونَ اليتيم ﴾[4].

---

(١) من الآية (٦٢) : سورة الإسراء .

(٢) من الآية (٧٠) : سورة الإسراء .

(٣) الآية (١٥) : سورة الفجر .

(٤) الآية (١٧) : سورة الفجر .

– الفعل الأمر (أكرم) مرة واحدة مع ياء المخاطبة ، فى قوله :

﴿ **وقال الذى اشتراهُ من مِصرَ لامرأتهِ أكرمِي مثواهُ** ﴾[1].

– صيغة المبالغة (كريم) – على وزن (فعيل) – سبعا وعشرين مرة . على النحو التالى :

قوله : ﴿ **رزق كريم** ﴾ خمس مرات[2] وفى آية الأحزاب ﴿ **رزقا كريماً** ﴾.

قوله : ﴿ **أجر كريم** ﴾ ثلاث مرات[3] وفى آية الأحزاب ﴿ **أجراً كريماً** ﴾ .

قوله : ﴿ **رسول كريم** ﴾ ثلاث مرات[4].

فى وصف المولى – عز وجل – مرتين[5].

قوله : ﴿ **زوج كريم** ﴾ مرتين[6].

---

(١) من الآية (٢١) : سورة يوسف .

(٢) سورة الأنفال : الآيتان (٤،٧٤) ، والحج : (٥٠) ، والنور : (٢٦) ، وسبأ : (٤) ، والأحزاب : (٣١) .

(٣) سورة يس : الآية (١١) ، والحديد : (١١،١٨) ، والأحزاب : (٤٤) .

(٤) سورة الدخان : (١٧) ، والحاقة : (٤٠) ، والتكوير : (١٩) .

(٥) فى قوله تعالى : ﴿ **ومن كفر فإن ربى غنى كريم** ﴾ . من الآية (٤٠) : سورة النمل .

وقوله : ﴿ **يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم** ﴾ . الآية (٦) : الانفطار .

وجاء فى اللسان : (الكريم من صفات الله وأسمائه ، وهو الكثير الخير ، الجواد المعطى الذى لا ينفد عطاؤه ، وهو الكريم المطلق .

والكريم : الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل .

والكريم : اسم جامع لكل ما يحمد ، فالله عز وجل كريم حميد الفعال ، ورب العرش الكريم العظيم .

مادة (كرم) – [٥/٣٨٦١] .

(٦) سورة الشعراء : (٧) ، ولقمان : (١٠) .

قوله : ﴿ **مقام كريم** ﴾ مرتين[١].
قوله : ﴿ **ملك كريم** ﴾ مرة واحدة[٢].
قوله : ﴿ **العرش الكريم** ﴾ مرة واحدة[٣].
قوله : ﴿ **كتاب كريم** ﴾ مرة واحدة[٤].
قوله : ﴿ **إنه لقرآن كريم** ﴾ مرة واحدة[٥]
قوله : ﴿ **مدخلاً كريماً** ﴾ مرة واحدة[٦]..
قوله : ﴿ **قولاً كريما** ﴾ مرة واحدة[٧].
فى معرض السخرية من الكافرين[٨].
فى وصف جهنم[٩].

– الجمع (كرام) ثلاث مرات :
فى صفة الملائكة مرتين :
فى قوله : ﴿ **كِرَامٍ بَرَرَةٍ** ﴾[١٠].
وقوله : ﴿ **كِراماً كاتبين** ﴾[١١].

---

(١) سورة الشعراء : (٥٨) ، والدخان : (٢٦)
(٢) سورة يوسف : الآية (٣١) .
(٣) سورة المؤمنون : الآية (١١٦) .
(٤) سورة النمل : الآية (٢٩) .
(٥) سورة الواقعة : الآية (٧٧) .
(٦) سورة النساء : الآية (٣١) .
(٧) سورة الإسراء : الآية (٢٣) .
(٨) سورة الدخان : الآية (٤٩) .
(٩) سورة الواقعة : الآية (٤٤) .
(١٠) سورة عبس : الآية (١٦) .
(١١) سورة الانفطار : الآية (١١) .

وفى صفة المؤمنين مرة واحدة ، فى قوله تعالى :

﴿ وإذا مرُّوا باللغوِ مرُّوا كِراماً ﴾[١].

– اسم التفضيل (أَكْرَمُ) مرتين :

فى وصف المولى – عز وجل – فى قوله :

﴿ اقرأ وربُّكَ الأكرمُ ﴾[٢].

ومضافاً إلى كاف الخطاب وميم الجمع فى قوله :

﴿ إنَّ أكرَمكم عند الله أتقاكم ﴾[٣].

– **المصدر من الرباعى (إكْرَامٌ)**[٤] مرتين :

فى قوله : ﴿ ويبقى وجهُ ربِّك ذو الجلال والإكرام ﴾[٥].

وقوله : ﴿ تبارك اسم ربك ذى الجلالِ والإكرامِ ﴾[٦].

– اسم المفعول (مُكَرَّمٌ)[٧] مرة واحدة فى قوله .

﴿ فى صُحُفٍ مُكَرَّمةٍ ﴾[٨].

---

(١) سورة الفرقان : من الآية (٧٢) .
(٢) سورة العلق : الآية (٣) .
(٣) من الآية (١٣) : سورة الحجرات .
(٤) من الفعل (أكرَمَ) .
(٥) سورة الرحمن : الآية (٧٨) .
(٦) سورة الرحمن : الآية (٧٨) .
(٧) من الفعل : (كَرَّمَ) .
(٨) سورة عبس : الآية (١٣) .

– اسم الفاعل من غير الثلاثى (مُكْرِمٌ)[1] مرة واحدة .

فى قوله : ﴿ **ومن يُهِنِ الله فما لهُ مِن مُكرِمٍ** ﴾[2] .

– اسم المفعول من غير الثلاثى (مُكْرَمٌ)[3] خمس مرات[4] .

---

(١)،(٣) من الفعل (أَكْرَمَ) .

(٢) سورة الحج : الآية (١٨) .

(٤) سورة الأنبياء : الآية (٢٦) ، والصافات : (٤٢) ، والمعارج : (٣٥) ، ويس : (٢٧) ، والذاريات : (٢٤) .

الفصل الثاني

الكرم في المجتمع العربي القديم

الكرم في المجتمع العربي القديم :

اشتهر المجتمع العربى القديم ببعض الصفات والتقاليد التى استحسنها الإسلام ، ودعا إليها فيما حث عليه الدين الإسلامى من مكارم الأخلاق ، والفضائل العليا ، والأخلاق النبيلة ، والقيم السامية .

وكان الكرم إحدى هذه الصفات التى تميز بها المجتمع العربى القديم ، والتى حرص العربى أن يشتهر بها ويطير بها ذكره فى الآفاق .

يقول الأستاذ (الحوفى) رحمه الله تعالى :

(لم يشغف العرب فى الجاهلية والإسلام بأكثر من شغفهم بالشجاعة والكرم ، فكان الأمراء والملوك أشد ما يكونون حرصاً على أن يذيع فى الناس كرمهم وشجاعتهم ، وكان شعراؤهم يشيدون بفعالهم ، ويختصون هاتين الفضيلتين بالتنويه ، محقين حيناً ، ومبطلين حيناً ، ومبالغين أحياناً)[1] .

حتى اقترن ذكر الكرم بذكر أسماء الأجواد الأسخياء من العرب ، سواء فى ذلك كتب اللغة والأدب ، حتى إن ابن منظور يذكر فى اللسان – فى معرض تفسيره للجود – نفراً من أجواد العرب المعروفين فيقول : (وأجواد العرب مذكورون ، فأجواد أهل الكوفة هم : عكرمة بن رِبعِيّ ، وأسماء بن خارجة ، وعتاب بن ورقاء الرياحى ، وأجواد أهل البصرة : عبيد الله بن أبى بكرة ويكنى أبا حاتم ، وعمر بن عبد الله بن معمر التيمى ، وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعى ، وهؤلاء أجود من أجواد الكوفة ، وأجواد الحجاز : عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، وعبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وهما أجود من أجواد أهل البصرة .

(١) من أخلاق النبى : (٩٧) .

فهؤلاء الأجواد المشهورون ، وأجواد الناس بعد ذلك كثير[1] .

وقد برزت أسباب كثرة أدّت إلى ذيوع تلك الصفة بين أحياء العرب وقبائلهم وعشائرهم .

وبعض هذه الأسباب يرجع إلى طبيعة الحياة العربية فى المجتمع البدوى القديم ، الذى كان دائم الظعن والترحال فراراً من الجدب والجفاف ، وبحثاً عن موارد الماء ، ومواطن الكلأ والعشب .

تلك الحياة القاسية التى كابدها العربى جعلته يدرك قيمة قرى الضيف ، وإعانة المحتاج ، ونصرة المظلوم ، وغيرها من القيم الإنسانية السامية النبيلة .

فكان العربى يرسى دعائم تلك القيم حتى تعم وتنتشر ، فيعود إليه فى النهاية خيرها ، ويشمله أثرها ، فيستفيد منها وقت العوز والحاجة .

ومن تلك الأسباب ما يرجع إلى طبيعة الحياة الاجتماعية فى المجتمع القديم ، الذى انتشر فيه حب التفاخر بالآباء والجدود ، والتباهى بخصال الجود ، وتمجيد الفعال النبيلة ، والشجاعة وقوة العزيمة ، ومضاء الرأى .

فأحب العربى أن يرتبط ذكره بما أحبه الناس من تلك الخلال ، وكان الكرم أكثرها تأثيراً فى النفوس ، أقربها إلى وجدان ذلك المجتمع ، لما ارتبط به من الإيثار وعلو الهمة ، ولما يؤدى إليه من الأمن والرضا ، والرفعة والسيادة والشرف فى القبيلة وبين أحياء العرب .

كما كان للحرب والنزاعات المستمرة بين القبائل دوراً فى انتشار الكرم ، وحرص العربى عليه ، فقد (كان من أثر الحرب وانتشار الفقر والبؤس فى البلاد أن قلّ الغذاء ، وعزّ الطعام ، فأحسوا الجوع ينشب أنيابه بين أحشائهم ويكاد يفتك

(١) اللسان : مادة (جود) - [١/٧٢٠] .

بهم ، وبخاصة إذا كانوا مسافرين أو عابرى سبيل ، فقدروا معنى الإنسانية الحقيقية بتقديم ما يحفظ على الإنسان حياته أو يسد رمقه أو يروى غلته ، ولذلك عظموا الكرم وإطعام الطعام ، ووصفوا بالكرم عظماء القوم ، ومدحوا به ، وكان الكرم فى مقدمة الفضائل التى يحب العربى أن يتحلى بها)[1].

وأحبت العرب الكرم ، واتخذوا له رموزاً وإشارات فكانت (تسمى الكلب داعى الضمير ، ومتمم النعم ، ومشيد الذكر ، لما يجلب من الأضياف بنباحه .

وكانوا إذا اشتد البرد ، وهبّت الرياح لم تشب النيران فرقوا الكلاب حوالى الحى ، وربطوها إلى العتمة لتستوحش فتنبح ، فتهدى الضلال ، وتأتى الأضياف على نباحها[2].

ولهم فى ذلك حكايات شهيرة وقصص معروفة .

من ذلك ما روى عن (حاتم الطائى) وهو مضرب الأمثال عند العرب فى الكرم والجود :

(حدث الهيثم بن عدىّ عمن حدثه عن ملحان ابن أخى ماوية امرأة حاتم ، قال : قلت لماوية : يا عمتاه حدثينى ببعض عجائب حاتم . فقالت : أمره عجب ، فعن أيها تسأل ؟ قال : قلت : حدثينى ما شئت . قالت : أصاب الناس سنة فأذهبت الخفّ والظلف فإنى وإياه وقد أسهرنا الجوع ، فأخذ عدياً ، وأخذت سَفّانة ، وجعلنا نعللهما حتى ناما ، ثم أقبل علىّ يحدثنى ويعللنى بالحديث حتى أنام ، فرفقت له لما به من الجهد فأمسكت عن كلامه لينام فقال لى : أنمت ؟ مراراً . فلم أجبه ، فسكت ، فنظر فى فتق الخباء وإذا امرأة ، فقال : ما هذا ؟ فقالت : يا أبا سفّانة أتيتك من عند صبيان يتعاوون كالذئاب جوعاً . فقال : أحضرى صبيانك فوالله لأشبعنهم . قالت : فقمت مسرعة ، فقلت : بماذا يا حاتم ؟

---

(١) فى الأدب الجاهلى : [٦٨،٦٩] .

(٢) المستطرف : [١٨٤] .

فوالله ما نام صبيانك من الجوع إلاّ بالتعليل . فقال : والله لأشبعنّ صبيانك مع صبيانها . فلما جاءت قام إلى فرسه فذبحها ثم قدح ناراً وأججها ، ودفع إليها شفرة ، وقال : اشوى وكلى . ثم قال : أيقظى صبيانك . قالت : فأيقظتهم ، ثم قال : إن هذا اليوم يأكلون وأهل الصرم حالهم مثل حالكم .

وجعل يأتى بيتاً بيتاً فيقول : انهضوا عليكم النار . قالت : فاجتمعوا حول تلك الفرس ، وتقنع بكسائه ، وجلس ناحية ، فما أصبحوا ومن الفرس على الأرض قليل ولا كثير إلا عظم وحافر ، وإنه لأشد منهم جوعاً وما ذاقه)[1] .

وبرغم ما تتسم به تلك القصة من المبالغة والتهويل إلاّ أنها تدل دلالة قاطعة على مدى تعظيم العرب للجود والسخاء ، حتى صار الكرم سلوكا والتزاما لدى طائفة منهم ، فلا يرد من قصده مهما كلفه الأمر من العناء والمشقة ، وفى ذبح حاتم لفرسه دلالة عظيمة على تأكيد هذه القيمة الإنسانية إلى حد التضحية بالفرس الذى يمثل مكانة خاصة لدى العربى .

ومن ذلك ما رُوى عن (عتبة بنت عقبة) ، وهى أم حاتم ، (وكانت من أسخى الناس ، وأقراهم للضيف ، وكانت لا تبقى شيئا تملكه ، فلما رأى إخوتها إتلافها حجروا عليها ، ومنعوها مالها ، فمكثت دهراً لا يدفع إليها شىء منه ، حتى إذ ظنوا أنها قد وجدت ألم ذلك فأعطوها صِرْمة من إبلها ، فجاءتها امرأة من ماذن كانت تأتيها فى كل سنة تسألها – قالت لها : دونك هذه الصِرمة فخذيها ، فوالله لقد عضنى من الجوع ما لا أقدر أن أمنع معه سائلاً أبداً . ثم أنشأت تقول :

لَعمرى لقد ما عَضَّنى الجوعُ عَضَّةً	فآليتُ أن لا أمنعَ الدهرَ جائعا
فقولا لهذا اللائم اليوم أعْفِنى	فإن أنت لم تفعل فَعُضَّ الأصابعا
فماذا عليكم أن تقولا لأختكم	سوى عذلكم أو عذل من كان مانعا
وهل ينظرون اليوم إلا طبائعا	فكيف بِتركى يا ابن أم الطبائعا[2]

(١) المستجاد : [٤٩] ، والمستطرف : [١٨٣،١٨٤] ، وفضل العطاء : [٥٢] .
(٢) المستجاد : [٤٨] .

فليس إذا بغريب أن يتشرب حاتم من هذا الينبوع الدائم من الكرم حتى إنه ليؤثر على نفسه كل من قصده .

(وكان مما آثر به حاتم على نفسه أنه خرج في الشهر الحرام يطلب حاجة ، فلما كان بأرض عنزة ناداه أسير لهم : يا أبا سفّانة : أكلني الإسار والقمل . قال : ويلك ، والله ما أنا ببلاد قومي ، وقد نوَّهت باسمي ، ومالك مَتْرَكٌ ، فساوم العنزيين فاشتراه وخلاه ، وأقام في قِدِّه حتى أتى بفدائه)[1] .

ومن أروع أمثلة الإيثار ما ذكره (العسكري) أن كعباً صحب رجلاً من النمر بن قاسط في شهر ناجر[2] ، (فتصافنا ماءهما ، فجعل النَّمَريّ يشرب نصيبه ، فإذا أصاب كعباً نصيبُه قال : اسق أخاك النَّمَرِيّ ، فيؤثره على نفسه ويسقيه حتى أضرَّ به العطش ، وأسرع السير حتى رُفِعَ له أعلام الماء وقد غلبه العطش فقيل له : رِدْ ، كعب ! فلم يقدر على الورود ، فمات)[3] .

وهي صورة مشرقة تدل بجلاء على مدى تقدير العرب للجود والسخاء ، حتى إن منزلة الكرم في نفوسهم لتفوق منزلة الحياة .

(وأعجب من هذا أن عمر بن عبيد الله بن معمر مرّ بزنجي يأكل عند حائط وبين يديه كلب ، إذا أكل لقمة طرح له لقمة . فقال له : أهذا الكلب كلبك ؟ قال : لا . قال : فَلِمَ تطعمه مثل ما تأكل ؟ قال : إني أستحي من ذي عينين ينظر إليّ ، أن أستبدَّ بمأكول دونه . قال : أحُرٌّ أنت أم عبد ؟ قال : عبد لبعض بني عاصم . فأتى عمر ناديهم فاشتراه واشترى الحائط ، ثم جاءه فقال : أشعرت أن الله قد أعتقك ؟ قال : الحمد لله وحده ، ولمن أعتقني بعده . قال : وهذا

---

(١) فضل العطاء : [٣٢] .
(٢) ناجر : أشد شهور الصيف حرّاً .
(٣) فضل العطاء : [٣٤] .

الحائط لك . قال : أشهدك أنه وقف على فقراء المدينة . قال : ويحك ! أتفعل هذا مع حاجتك ؟ قال : إنى أستحى من الله أن يجود علىّ بشىء فأبخل به عليه)[1] .

وخلاصة القول أن الكرم ، وإن شاع فى المجتمع العربى القديم قبل الإسلام ، إلا أنه ارتبط بمنافع دنيوية ، وغايات نفعية ، ومطامع ومكاسب مادية ، ليس الدين أو التدين واحداً منها .

وإنما حرص العربى على الكرم لحرصه على المجد ، أو لحرصه على الحياة . فهو إمّا أن يبغى من وراء الكرم شهرة تحقق له المجد والسؤدد والسيادة والشرف فى قومه ؛ فيرتفع بذلك قدره ، ويطير بالكرم ذكره ؛ فتعلو مكانته ، وتسمو منزلته ، مما يؤهله للحكم فى العشيرة والزعامة فى القبيلة ، والشفاعة لدى الملوك والأمراء .

وإمّا أن يطلب الحياة بطلب الكرم لأنه يعيش حياة قاسية ، إن لانت يوماً فهى عسيرة دوماً ، وإن وجد القرى آنا فلن يتيسر له أحيانا .

ولذا فقد أضفى الإسلام على الكرم كثيراً من القيم الروحية ، والغايات السامية ، والأهداف النبيلة .

فاتخذ الكرم – فى ظل الإسلام – سبلاً أرحب ، وقيما أسمى وأرفع .

ويذكر التنوخى والأبشيهى (أن عبد الله بن جعفر – رضى الله عنه – خرج إلى ضيعة له ، فنزل على نخيل قوم وفيها غلام أسود يقوم عليها ، فأتى بقوته ثلاثة أقراص ، ودخل كلب فدنا من الغلام ، فرمى إليه بقرص فأكله ، ثم رمى إليه بالثانى والثالث فأكلهما ، وعبد الله ينظر إليه ، فقال : يا غلام كم قوتك فى كل يوم ؟ قال : ما رأيت . قال : فلم آثرت هذا الكلب ؟ قال : ما هى بأرض كلاب وإخاله جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده . قال : فما أنت صانع اليوم ؟ قال : أطوى يومى هذا .

---

(١) السابق : [٢٣،٢٤] .

فقال عبد الله بن جعفر : أُلَامُ على السخاء ! إن هذا أسخى منى فاشترى الحائط والغلام ، وما فيه من الآلات ، ثم أعتق الغلام ووهب ذلك له)[١].

فالكرم فضيلة عظيمة يشترك فيها السادة والأرقاء ، الرجال والنساء ، الكبار والصغار ، وقد برزت صور مشرقة للكرم والكرماء فى التراث العربى القديم ، قيل : (إن رجلاً سأل حاتماً الطائىَّ فقال: يا حاتم هل غلبك أحد فى الكرم ؟ قال : نعم غلام يتيم ، وذلك أنى نزلت بفنائه ، وكان له عشرة أرؤس من الغنم ، فعمد إلى رأس فذبحه وأصلح لحمه وقدّم إلىّ وكان فيما قدّم الدماغ . فقلت : طيب والله . فخرج من بين يدى وجعل يذبح رأساً بعد رأس ، ويقدم الدماغ وأنا لا أعلم . فلما رجعت لأرحل نظرتُ حول بيته دماً عظيماً ، فإذا هو قد ذبح الغنم بأسرها ، فقلت له : لم فعلت ذلك ؟ قال : يا سبحان الله تستطيب شيئا أملكه وأبخل عليك به ! إن ذلك لسُبَّة على العرب قبيحة . فقيل : يا حاتم فماذا عوضته ؟ قال : بثلثمائة ناقة حمراء ، وبخمسمائة رأس من الغنم . فقيل : أنت إذا أكرم منه . قال : هيهات بل هو والله أكرم لأنه جاد بكل ما ملك ، وأنا جدت بقليل من كثير)[١].

---

(١) المستجاد : [١١] ، والمستطرف : [١٧٤] .

(١) المستجاد : [١٥٨] .

الفَصْلُ الثَّالِثُ

الكَرَمُ فِي الإِسْلَامِ

الكرم في الإسلام :

سعى الإسلام إلى تأكيد مكارم الأخلاق والدعوة إلى الفضيلة والخير ، فكان ثناؤه على معانى الجود والسخاء ، وحمله على مظاهر الشح والبخل ، وانتهاجه طريق الاعتدال فى الإنفاق .

أخرج (**البيهقى**) عن (**طلحة بن عبيد الله**) ، و (**أبو نعيم**) فى (**الحلية**) عن (**ابن عباس**) – رضى الله عنهما – أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **إن الله تعالى جوَادٌ يُحِبُّ الجود ، ويُحبُّ معالىَ الأخلاقِ ، ويكرهُ سفسَافَهَا** »[1].

وقال تعالى :

﴿ **ولا تجعل يدكَ مغلولةً إلى عُنقكَ ولا تبسطها كُلَّ البسط فتقعدَ ملوماً محسوراً** »[2].

وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال :

« **لا يجتمعُ شُحٌّ وإيمانٌ فى قلب عبدٍ أبداً** »[3].

وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

« **شَرُّ ما فى رَجُلٍ شُحٌّ هالِعٌ وجُبنٌ خالعٌ** »[4].

---

(١) تقدم تخريجه فى مقدمة الكتاب .
والسفاسف والسفساف : الحقير من كل شيء والرديء .

(٢) سورة الإسراء : الآية (٢٩) .

(٣) أخرجه أحمد فى مسنده والنسائى فى سننه وهو صحيح انظر صحيح الجامع رقم (٧٦١٦) .

(٤) رواه أبو داود : [جهاد : ٢١] ، وأحمد : [٢/٣٠٢،٣٢٠] وهو صحيح انظر =

وقال تعالى :

﴿ ومن يُوقَ شُحَّ نفسهِ فأُولئكَ هم المفلحونَ ﴾[1].

وفى قوله تعالى :

﴿ فأما من أعطى واتقى * وصدَّقَ بالحُسنى * فسنُيَسِّرهُ لليُسرىَ * وأما من بخِلَ واستغنى * وكذَّبَ بالحُسنى * فَسنُيَسِّرهُ للعُسرى ﴾[2].

روى عن (**أبى هريرة**) – رضى الله عنه – أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « ما من يَومٍ يُصبحُ العِبادُ فيه إلا ملكانِ ينزلان ، فيقولُ أحدهما : اللهم أعط مُنفقاً خلفاً ، ويقولُ الآخرُ : اللهم أعطِ **مُمسكاً** تلفاً »[3].

ويحذر النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الشح ويعده سبب كل بلاء ، ومورد الأذى والهلاك ، فقد أخرج (**مسلم**) و (**أحمد**) عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « **اتقوا الشُحَّ فإنَّ الشُحَ أهلكَ مَن كان قبلكم** »[4].

ويغرى القرآن الكريم بالإنفاق ، ويدعو إلى الجود والسخاء ، قال تعالى :

﴿ وما أنفقتم مِن شيءٍ فهوَ يُخلفهُ وهو خيرُ الرازِقينَ ﴾[5].

وقال تعالى :

= صحيح الجامع .

وهالع أى يجزع فيه العبد ويحزن ، كيوم عاصف وليل نائم ، ويحتمل أن يكون هالع جاء للازدواج مع خالع . والخالع : الذى كأنه يخلع فؤاده لشدته .

(١) من الآية (٩) : سورة الحشر .

(٢) سورة الليل : الآيات (٥-١٠) .

(٣) أخرجه البخارى : [زكاة -٢٧] ، ومسلم : [زكاة -٥٧] ، وأحمد : [٣٤٧،٣٠٦/٢] ، [١٩٧/٥] .

(٤) أخرجه مسلم : [بر - ٥٦] ، وأحمد : [١٩٥،١٩١،١٦٠/٢] ، [٣٢٣/٣] .

(٥) من الآية (٣٩) : سورة سبأ .

﴿ لن تنالوا البرَّ حتى تُنفِقوا مما تُحبُّون وما تُنفِقوا مِن شيءٍ فإنَّ الله بهِ عليمٌ ﴾[1].

روى (**أنس بن مالك**) رضى الله عنه :

كان (**أبو طلحة**) أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل ، وكان أحب أمواله إليه بَيْرُحَاءَ ، وكانت مستقبلة المسجد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب .

قال أنس : فلما نزلت هذه الآية ؛ قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : يا رسول الله إن الله تبارك وتعالى يقول :

﴿ **لن تنالوا البرَّ حتى تنفقوا مما تُحبُّونَ** ﴾ .

وإن أحب أموالى بَيْرُحَاءُ ، وإنها صدقة لله أرجو برَّها وذخرها عند الله ، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

« **بخ اذلك مال رابح ، ذلك مال رابح ، وقد سمعت ما قلت ، وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين** » . فقال أبو طلحة : أفعل يا رسول الله فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه[2].

---

(١) سورة آل عمران : الآية (٩٢) .

(٢) أخرجه البخارى : [زكاة –٤٤] ، [وكالة –١٥] ، [وصايا –١٧،٢٦] ، ومسلم : [زكاة –٤٢] ، والدارمى: [زكاة –٢٣] ، ومالك فى الموطأ : [صدقة –٢] ، وأحمد : [٣/١٤١،٢٥٦،٢٨٥] .

قال الحافظ المنذرى : (قوله : بيرحاء ، هو موضع بقرب المسجد ، وقيل : حاء اسم رجل إليه نسب البئر ، واختلف فى تقييده ، فروى بفتح الرَّاء فى كل حال ، وروى بضم الراء فى الرفع ، وفتحها فى النصب ، وكسرها فى الجر .

وقوله : بخ . يقال بالتسكين وبالكسر مع التنوين . قال الخليل : يقال ذلك للشيء إذا رضيته ، ويقال ليعظم الأمر .__ =

والله تعالى يضاعف الثواب والأجر للمنفقين فى سبيله ، قال تعالى :

﴿ مثلُ الذين يُنفقونَ أموالهم فى سبيلِ الله كمثلِ حبةٍ أنبتت سبعَ سنابلَ فى كل سنبلةٍ مائةُ حبةٍ والله يُضاعفُ لمن يشاءُ والله واسعٌ عليمٌ ﴾[1] .

فالصدقة والعطاء يكفلان للمرء سعادة الدارين ، أخرج أحمد والنسائى وابن حبان فى صحيحه ، والحاكم عن أبى ذر - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **ما من مُسلمٍ يُنفقُ من كل مالٍ لهُ زوجين فى سبيلِ الله إلا استقبلتُه حجبة الجنةِ كلهم يدعوه إلى ما عندهُ** »[2] .

كما أن الكرم والجود مدعاة إلى رضا الرب والفوز بثوابه ، واجتناب عقابه ، والنجاة من عذابه .

أخرج أحمد عن ابن مسعود - رضى الله عنه - أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **ليتقِ أحدكم وجههُ من النارِ ولو بشق تمرةٍ** »[3] .

= وقوله : مال رابح . يروى بالباء الموحدة من الربح بالأجر وجزيل الثواب . أى ذو ربح ، ويروى بالياء المثناة من الرواح عليه بالأجر على الدوام ما بقيت أصوله وثماره .

وقال الهروى : رابح أى ذو ربح ، ومن رواه رائح أراد قريب الفائدة . ا هـ انظر : كفاية التعبد وتحفة التزهد : [١٨، ١٩] .

(١) سورة البقرة : الآية (٢٦١) .

(٢) أخرجه أحمد : [٥/١٥١] ، والحاكم : [٢/٨٦] ، وصححه ووافقه الذهبى . ووافقهما الألبانى . انظر صحيح الجامع رقم (٣٧٠٩) .

قوله : « **من أنفق زوجين** » . قال الحسن البصرى : يعنى اثنين من كل شىء ، درهمين ، دينارين ، ثوبين . وقال غيره : يريد شيئين : درهما ودينارا ، درهماً وثوباً ، خفاً ولجاماً ونحو هذا . قال الباجى : يحتمل أن يريد بذلك العمل من صلاتين أو صيام يومين .

(٣) أخرجه أحمد : [١/٣٨٨، ٤٤٦] ، وأبو نعيم فى الحلية : [٨/٢١٤] ، وهو صحيح انظر صحيح الجامع رقم (٥٣٥٧) .

وعلى المسلم أن يبذل العطاء للسائل دون أن ينظر إلى أحقيته فى العطاء ، فقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بإعطاء السائل وإن جاءَ على فرسٍ فإنه وإن جاء على حالة تدل على غناه كركوب فرس ، فلولا حاجته للسؤال ما بذل وجهه ، فيجب على المسلم ألا يأخذ بظاهر الأمور ، فقد جاء فى صفة الفقراء المتعففين :

﴿ يحسبهم الجاهلُ أغنياءَ من التعففِ تعرفهم بسيماهُم لا يسألونَ الناسَ إلحافاً ﴾[1].

وعلى المنفق ألا يخشى الفقر أو العوز فإن الله الذى رزقه قادر على إغنائه ، وكفله من الفاقة والحاجة .

وفى رواية للبزار عن بلال وعن أبى هريرة ، والطبرانى عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال :

« أنفق يا بلالُ ، ولا تخشَ من ذِى العرشِ إقلالاً »[2].

وروى عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال :

« قال رجلٌ : لأتصدقن بصدقةٍ ، فخرجَ بصدَقتهِ ، فوضعها فى يد سارق . فأصبحوا يتحدثونَ : تصدق على سارقٍ . فقال : اللهم لك الحمدُ ، لأتصدقنَّ بصدقةٍ . فخرجَ بصدقته ، فوضعها فى يدى زانيةٍ ، فأصبحوا يتحدثون : تصدق الليلة على زانيةٍ . فقال : اللهم لك الحمدُ على زانيةٍ ! لأتصدقن بصدقةٍ . فخرج بصدقته ، فوضعها فى يدى غنىٍّ ، فأصبحوا يتحدثون : تصدق الليلة على غنىٍّ . فقال : اللهمَّ لك الحمدُ ، على سارقٍ وعلى زانيةٍ وعلى غنىٍّ ! فأتى فقيل لهُ :

---

(١) من الآية (٢٧٣) : سورة البقرة .

(٢) أخرجه الطبرانى فى الكبير : [١/٣٤٤] ، وأبو نعيم فى الحلية : [٢/٢٨٠،٦/٢٧٤]؛ هو صحيح انظر صحيح الجامع : (١٥١٢) .

أما صدقتك على سارقٍ فلعلهُ أن يستعف عن سرقتِهِ ، وأما الزانية فلعلها أن تستعفَّ عن زناها ، وأما الغنيُّ فلعلهُ يعتبرُ فيُنفقُ مما أعطاه الله »[1].

ويوجه القرآن الكريم المسلمين إلى الاعتدال فى الإنفاق حتى لا يصل إلى حد الإسراف أو التقتير .

قال تعالى :

﴿ والذين إذا أنفقوا لم يُسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ﴾[2].

فالمسلمون ينفقون أموالهم فى سبيل الله سراً وعلانية رجاء ثوابه والفوز بجنته .

قال تعالى :

﴿ إن الذين يتلونَ كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانيةً يرجونَ تجارةً لن تبور ﴾[3].

والإسلام لا يحرم الفقير من المشاركة فى العطاء والبذل ، واكتساب الأجر والثواب ، وإنما جعل له نصيبا من ذلك ولكن بكيفية خاصة ، وعلى نحو متميز يشهد بسماحة الإسلام ورحابته واتساع فضله .

أخرج أبو داود والحاكم عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال :

« أفضلُ الصدقةِ جهدُ المُقِلِّ »[4].

---

(١) أخرجه البخارى : [زكاة –١٣] .

(٢) الفرقان : الآية (٦٧) .

(٣) فاطر : الآية (٢٩) .

(٤) أخرجه أبو داود : [وتر–١٢]،[زكاة–٤٠]، والنسائى : [زكاة – ٤٩]، والدارمى : [صلاة –١٣٥] ، وأحمد : [٢٦٥،١٧٨/٥،٤١٢/٣،٣٥٨/٢] ، والحاكم : [٤١٤/١] ، انظر صحيح الجامع : [١١١٢] ، فإنه صحيح .

وروى عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رجل للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : يا رسول الله أى الصدقة أفضل ؟ قال :

« أن تصدقَ وأنت صحيحٌ شحيحٌ تخشَى الفقرَ وتأملُ الغنى ، ولا تمهل حتى إذا بلغتِ الحُلقوم قلت : لفلانٍ كذا ولفلانٍ كذا وقدْ كان لفلانٍ »[1].

وقد أضفى الإسلام على الكرم قيماً روحية ومبادىء إنسانية عظيمة ، فنظم سبل العطاء ، بما يكفل السعادة والأمن للمجتمع ، وحتى تتحقق الغايات المرجوة من البذل ، فلاتضيع عطايا المعطين وهباتهم سدى ، أو تذهب إلى غير أهلها ودون موضعها ، مما يحقق مبدأ التكامل فى المجتمع ويظهر جوانب البر والرحمة والإخاء بين أفراده .

فقد أخرج مسلم وأحمد والترمذى وابن ماجة عن ثوبان – رضى الله تعالى عنه – أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال :

« أفضلُ الدنانير دينارٌ ينفقه الرجلُ على عياله ، ودينارٌ ينفقهُ الرجلُ على دابتهِ فى سبيل الله ، ودينارٌ ينفقهُ الرجلُ على أصحابهِ فى سبيلِ الله عزَّ وجلَّ »[2].

وأخرج النسائى عن جابر – رضى الله عنه – أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال :

---

(١) أخرجه مسلم : [زكاة –٩٣] ، والنسائى : [زكاة –٦٠] ، [وصايا –١] ، وابن ماجة : [وصايا –٤] ، وأحمد : [٢/٢٣١،٢٥٠،٤١٥،٤٤٧] ، والبخارى : [زكاة –٩] .

وفى رواية للبخارى :

« **وأنت صحيح حريص تأمل الغنى وتخشى الفقر** » . [وصايا –٧] .

(٢) أخرجه مسلم : [زكاة –٣٨] ، وأحمد : [٥/٢٧٧،٢٧٩،٢٨٤] ، والترمذى : [بر –٤٢] . وقال : حسن صحيح ، وابن ماجة : [جهاد –٤] ، والبيهقى فى السنن : [٤/١٧٨،٧/٤٦٧] ، والبخارى فى الأدب المفرد : [٧٤٨] .

« ابدأ بنفسك فتصدق عليها ، فإن فضلَ شيءٌ فلأهلك ، فإن فضلَ عن أهلكَ شيءٌ فلذى قرابتكَ ، فإن فضلَ عن ذى قرابتكَ شيءٌ فهكذا وهكذا »[1].

وأخرج مسلم وأحمد :

« إذا أعطى الله الرجلَ خيراً فليبدأ بنفسِهِ وأهلِ بيتِهِ »[2].

هكذا يرسم الإسلام معالم الطريق على هذا النحو الرائع الذى يتفق وطبيعة الحياة والأحياء ، متصلاً بواقع الحياة المعاش ، على هذا التدرج البديع .

فالمرء إذا استغنى وشعر بالوفر يجب أن يجود على من حوله ، وليبدأ بأقرب الأقارب إليه ، فيشعره بالمودة والرحمة ببذل المال لديه ، فيطهر ما قد يشوب نفسه تجاهه من حسد أو بغضاء .

قال تعالى :

﴿ خُذ من أموالهم صدقةً تُطهرهم وتزكيهم بها ﴾[3].

ويؤكد القرآن الكريم أن هذا البذل والعطاء إنما هو حق للفقراء فى أموال المياسير والأغنياء .

وقال تعالى :

﴿ والذين فى أموالهم حقٌ معلومٌ * للسَّائلِ والمحروم ﴾[4].

والإسلام يحث على البذل والعطاء ، ويغرى المسلمين بالتنافس فيه ، وهو تنافس

---

(١) أخرجه مسلم : [زكاة –٤١] ، والنسائى : [زكاة –٦٠] ، [بيوع –٨٤] ، والبيهقى فى سننه : [٣٠٩/١٠،١٧٨/٤] .

(٢) أخرجه مسلم : [إمارة –١٠] ، وأحمد : [٨٩،٨٨،٨٦/٥] ، والنسائى : [بيوع –٨٤] ، وأبو داود : [عتاق –٩] ، والطبرانى فى الكبير : [٢١٧/٢] .

(٣) من الآية (١٠٣) : سورة التوبة .

(٤) سورة المعارج : الآيتان [٢٥،٢٤] .

شريف مشروع ، يعود على الأمة بالخير والبركة .

روى عن عبد الله بن مسعود قال : قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

« لا حسد إلا فى اثنتين : رجلٍ آتاهُ الله مالاً فسُلِطَ على هلكتهِ فى الحق ، ورجلٍ آتاهُ الله الحكمةَ فهوَ يقضى بها ويعلمها »[1].

وقال تعالى :

﴿ وسارعوا إلى مغفرةٍ من ربكم وجنةٍ عرضها السموات والأرضُ أُعدت للمتقينَ * الذين يُنفقونَ فى السراءِ والضراءِ والكاظمينَ الغيظَ والعافينَ عن الناسِ والله يحبُّ المحسنين ﴾[2].

---

(١) أخرجه البخارى : [علم–١٥]، [زكاة–٥]، [أحكام–٣]، [اعتصام–١٣]، ومسلم : [مسافرون ع ٢٦٨] ، وابن ماجة : [زهد –٢٢] ، وأحمد : [٣٨٢/١، ٤٣٢] .

(٢) سورة آل عمران : الآيتان [١٣٣، ١٣٤] .

الفَصلُ الرَّابِعُ

أَسبابُ الكَرمِ وَدَوَاعِيه

أسباب الكرم ودواعيه :

للكرم دواعٍ وأسباب تدعوا إليه وتحث عليه ، وتدفع المرء إلى التفانى فيه ، والجد فى طلبه ، والحرص على تحصيله .

وقد ظلت بعض هذه الدوافع والأسباب تغرس فى الإنسان حب البذل والإنفاق منذ أقدم العصور ، واستمرت دواعى الكرم فى ضمير البشرية عرفاً تسير عليه ، وتقليداً تتوارثه الأجيال المتعاقبة ، حتى جاء الإسلام حاملاً معه تعاليم الرحمة والهداية للناس كافة ، ناشراً رسالة المحبة والإخاء الإنسانى فى ظل تعاليمه السامية العظيمة .

فأضفى إليها أبعاداً وجوانب دينية وروحية ، تسمو بالكرم ، وترتفع بالبذل والعطاء ، حتى يخلص من أدران المادة ، ويبرأ من آفة الهوى والرياء .

فقد حرص الإسلام على أن يكون التدين والتمسك بالشرع هو المحرك الأول للكرم ، والباعث الأساسى للبذل والإنفاق ، ولذا فقد قرر القرآن أن المال مال الله ، وأن الأغنياء مستخلفين فيه ، ينفقون منه بإرادة الله ، ويتمتعون به بمشيئته تعالى .

قال تعالى :

﴿ وآتوهم من مالِ الله الذى آتاكم ﴾[1].

كما يقرر أن المال فتنة على المسلم أن يحذرها ، قال تعالى :

﴿ واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنةٌ وأن الله عندهُ أجرٌ عظيم ﴾[2].

---

(١) من الآية (٣٣) : سورة النور .

(٢) الأنفال : الآية (٢٨) .

فيجب على المسلم ألايفتتن بها فتلهيه عن ذكر ربه .

قال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تُلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكرِ الله ومن يفعل ذلكَ فأولئكَ هم الخاسرون ﴾(١).

ويقرر أيضا أن البلاء قد يكون بنقص الأموال والمعاناة والحاجة .

قال تعالى :

﴿ ولنبلونكم بشيءٍ من الخوفِ والجوعِ ونقصٍ من الأموالِ والأنفسِ والثمراتِ وبشر الصابرين ﴾(٢).

فما يقدمه الباذل من العطاء إنما يعود أثره عليه في النهاية من حيث لا يشعر .

قال تعالى :

﴿ وما تُنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقونَ إلا ابتغاءَ وجهِ الله وما تنفقوا من خيرٍ يُوفَّ إليكم وأنتم لا تُظلمونَ ﴾(٣).

ودعا الإسلام المسلمين جميعا – غْنيهم وفقيرهم – إلى بذل المعروف ، والحرص على الجود ، فقد أخرج الطبرانى عن الحارث بن عبد الله – رضى الله عنه – أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال :

« **أطعموا الطعام وأفشوا السلامَ تُورَّثُوا الجنان** »(٤).

وأخرج أبو يعلى والحاكم عن صهيب – رضي الله تعالى عنه – أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال :

---

(١) المنافقون : الآية (٩) .

(٢) سورة البقرة : الآية (١٥٥) .

(٣) من الآية (٢٧٢) : سورة البقرة .

(٤) صحيح انظر صحيح الجامع .

« **خيركم من أطعمَ الطعامَ وردَّ السلامَ** »[1].

وامتدح القرآن الكريم طائفة من المؤمنين يؤثرون بالخير إخوانهم على أنفسهم ، مرتفعين عن الأثرة وحب الذات .

قال تعالى :

﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصةٌ ومن يوقَ شُحَّ نفسه فأولئكَ هم المفلحونَ** ﴾[2].

فقد سما الإسلام بمفهوم الكرم والجود عن التصور المادى المألوف ، فلم يعد مجرد بذل المال للنفع العام ، أو لمعونة الآخرين ، وإنما اتخذ الكرم صوراً متعددة وأشكالاً مختلفة تبعاً لما تقتضيه الحاجة أو تتطلبه الظروف .

فحينما يعين المسلم أخاه الضعيف فهو يبذل له العون والمساعدة ، وهو لون من الجود والعطاء .

فقد روى عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال :

« **على كل مسلمٍ صدقةٌ** » . فقالوا : يا نبى الله فمن لم يجد ؟ قال : « **يعملُ بيدهِ فينفعُ نفسهُ ويتصدقُ**» . قالوا : فإن لم يجد ؟ قال : « **يعين ذا الحاجةِ الملهوف** » . قالوا : فإن لم يجد ؟ قال : « **فليعمل بالمعروف ويمسك عن الشرِ فإنها لهُ صدقةٌ** »[3].

ومن المعروف كذلك أن يلقى المسلم أخاه بالبشر والطلاقة ، فقد روى عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال :

---

(١) صحيح انظر صحيح الجامع .

(٢) من الآية (٩) : سورة الحشر .

(٣) أخرجه البخارى : [زكاة –٢٩] ، ومسلم : [زكاة –٥٥] ، والنسائى : [زكاة –٥٦] .

« من المعروفِ أن تلقى أخاكَ بوجهٍ طلقٍ »[1].

وروى عنه أنه قال :

« تبسمكَ فى وجهِ أخيكَ صدقةٌ »[2].

فحينما يلقى المسلم أخاه مستبشراً فهو يبذل له السعادة بإظهار البشر والتفاؤل ، وحينما يرفع عنه ظلماً أو يرد عنه كيداً فإنه يبذل له الأمن والاستقرار ، وهو أيضا لون من العطاء .

ومن أسباب الكرم أيضاً وفرة المال واتساع الحال ، فتقضى به كثرة الثروة (إلى تقديم ما وفق إليه ، ليجعله ذخراً للأخرى ويستجلب به الشكر فى الدنيا مع الثقة بالكفاية والغنى عن الزيادة)[3].

فالمعطى يبذل المال عن قدرة ويسر ، دون أن يجد فى بذله مشقة أو عناء ، وهو يقدم بعض ماله لمن أعسر واحتاج من إخوانه يفرج به كربته ، ويتخطى أزمته ، وتعالج حاجته .

فيحظى بخير الدارين ، ويجمع بين المحبتين : محبة الله ومحبة إخوانه ، ويفوز بالثواب العظيم يوم القيامة .

وهو ما عناه النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بقوله :

« المسلمُ أخو المسلمِ لا يظلمهُ ولا يُسلمه ، ومن كان فى حاجةِ أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرجَ عن مسلمٍ كربةً فرجَ الله عنهُ كربةً من كربات يومِ القيامةِ ، ومن ستر مُسلماً سترهُ الله يومَ القيامةِ »[4].

---

(١) أخرجه أحمد : [٣/٣٤٤،٣٦٠] ، وغيره وهو صحيح انظر صحيح الجامع .

(٢) الترمذى : [بر -٣٦] ، وهو صحيح انظر صحيح الجامع .

(٣) الخلق الكامل : [٤/٢٦٨] .

(٤) أخرجه البخارى : [مظالم -٣] ، ومسلم : [بر -٥٩] ، وأبو داود : =

ومن هنا يختلف مفهوم الكرم فى الإسلام عنه فى الجاهلية ، فالمسلم حينما يبذل ماله لا ينظر إلى ثناء الناس ، ولا يبغى الشهرة وذيوع الصيت ، ولا يطلب عرضاً دنيوياً مقابل بذله ، وإنما يصرف نيته إلى الله ، فيجعل غايته رضاه ، وهدفه الفوز بثوابه ، يدفعه فى ذلك إيمانه الصادق العميق ، وطاعته لربه ، وحبه لإخوانه .

ومن دواعى الكرم أيضاً : الرغبة فى الحمد والشكر ، ومحبة الثناء وطيب الذكر (فتنفرد إرادته بحب عرض الدنيا ، فيتكرم ويسمح ليحمد ويمدح)[1] .

وهذا الكرم مذموم ، بعيد عن الدين ؛ لما يشوبه من الرياء ، وهو الكرم الذى شاع فى الجاهلية ، إذ لم يكن العربى القديم يقر بشرع أو دين ، ولم يكن لسلطان العقيدة عليه من سبيل ، ومن ثَمَّ فقد كان لبذله وكرمه غايات دنيوية مطلقة ، كحب الشهرة والمدح ، وطلب الرياسة والمجد .

وكلها غايات قبيحة تفسد معنى الكرم ، وتذهب بمروءة العطاء ، وقيمة البذل ، وقد حذر الإسلام المسلمين من الإنزلاق إلى مهاوى الرياء والسمعة ؛ لأنها تمحق ثواب الصدقة ، ودعاهم إلى الإخلاص والتقوى ومراقبة الله تعالى .

قال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تُبطلوا صدقاتكم بالمنِّ والأذى كالذى يُنفقُ مالهُ رئَاءَ الناسِ ولا يُؤمنُ بالله واليومِ الآخر فمثلهُ كمثلِ صفوانٍ عليهِ تُرابٌ فأصابهُ وابلٌ فتركهُ صلداً لا يقدرونَ على شيءٍ مما كسبوا والله لا يهدى القومَ الكافرين * ومثلُ الذين يُنفقونَ أموالهم ابتغاءَ مرضاتِ الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنةٍ بربوةٍ أصابها وابلٌ فآتت أُكلها ضعفينِ ، فإن لم يُصبها وابلٌ فطلٌّ والله بما تعملونَ بصيرٌ ﴾[2] .

= [أدب –٣٨] ، والترمذى : [حدود ٣] ، وأحمد : [٩١/٢] .

(١) الخلق الكامل : [٢٦٨/٤] .

(٢) سورة البقرة : الآيتان [٢٦٤،٢٦٥] .

وقد يكون الداعى إلى الكرم استجلاب منفعة أو دفع مضرة ، (فيضطر إلى اصطناع المعروف وإن كان به غير معروف ، رجاء بلوغ بغيته ، والوصول إلى أمنيته ، فيأتيه تصنعاً لا تطبعاً)[1].

وهذا أيضاً مذمومٌ ؛ لأنه ليس خالصاً لوجه الله ، وإنما ارتبط بمنافع دنيوية ومكاسب مادية ، يجب على المسلم أن يوطن نفسه على اجتنابها وتلاشيها ، ويصرف قلبه ونيته إلى التبرأ منها وتجافيها .

وقد يكون الداعى إلى الكرم طلب المجد (فيبذل معروفه محافظةً على المكانة ، وحرصاً على استدامة الصيانة)[2].

وهو كذلك مذمومٌ ؛ لأنه بذل لاستجلاب المدح وطلب المنزلة بين الناس ، فهو ليس بريئاً من الشبهات ، وليس خالصاً لله ، وإنما قوامه طلب الدنيا ، والطمع فى المجد فيها ، وهو مما يتنافى مع الإيمان الصادق ، والتدين الصحيح ، والعقيدة السليمة .

فيجب على المسلم أن يصرف همته عن ذلك النفع الزائل والمجد الزائف ، ويُبرىء نفسه من تلك العلل والشبهات .

لأن المجد الحقيقى والعز الصادق والشرف العظيم إنما يكون فى طاعة الله والقرب منه ، والإخلاص فى طاعته ، والائتمار بأوامره واجتناب نواهيه ، والبعد عن المعاصى والشرور والآثام ، والحرص على إظهار الطاعة ودوام الخضوع والولاء .

وذلك بتبرئة النفس عن الهوى والغايات ، وتنزيه المولى عن شبهات الشرك ، وذلك لا يتحقق إلا إذا أخلص المرء فى كل فعاله ، وقصد بها وجه الله تعالى ، ونزهها عن كل مطمع إلا نيل ثوابه تعالى ، وابتغاء رحمته وغفرانه ، ونأى بها عن كل ما عداه فى مثوبة أو جزاء .

---

(١) الخلق الكامل : [٤/٢٦٨] .

(٢) السابق .

الفَصلُ الخَامِسُ

آدابُ الكَرَمِ في الإسلامِ

آداب الكرم في الإسلام :

للكرم فى ظل الإسلام آداب وسلوكيات يجب على المنفق أن يتحلى بها ، ويتمسك بها كل باذل جواد .

وهذه الآداب هى التى تحدد نظرة الإسلام للكرم ، واعتناءه بأن يكون بعيداً عن شبهات الرياء أو السمعة ، وتسمو به ليتحقق من خلاله مبدأ التكافل الإسلامى الاجتماعى بين الأغنياء والفقراء ، فيسود الحب والوئام فى المجتمع ، وتختفى مظاهر الأثرة والأنانية ، ويتلاشى الحسد والبغض والشقاق ، ومن هذه الآداب التى حث عليها الإسلام :

(١) الإنفاق من طيب المال :

فالباذل أو المعطى إنما يعمد إلى طيب ماله وأجوده ، فيبذل منه بسخاوة نفس ورضا وطيب خاطر ،يمنح إخوانه المعسرين مما أفاض الله عليه من فضله حتى يوسع الله عليه ، والإسلام يحذر من الإنفاق من المال الخبيث الذى يذهب سدى .

قال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرضِ ولا تيمموا الخبيثَ منه تنفقونَ ولستم بآخذيه إلا أن تُغمضوا فيه واعلموا أن الله غنىٌّ حميد ﴾[١].

وروى عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

« من تصدقَ بعدلِ تمرةٍ من كسب طيبٍ ولا يقبل الله إلا الطيبَ ، وإن الله

(١) سورة البقرة : الآية (٢٦٧) .

يتقبلها بيمينهِ ثمَّ يُربيها لصاحبه كما يُربِّى أحدكم فلوَهُ حتَّى تكونَ مثل الجبلِ »[1].

وذكروا أن عالماً شاباً كان يسير بصحبة شيخه فى بعض الطريق ، فإذا ببائع يبيع بعض الثمار ، فاختلس الشاب ثمرة منه وهو يظن أن شيخه لم يره ، ثم مرّا بسائل فى الطريق فأسقط الشاب الثمرة بين يديه خلسة ، فنظر إليه شيخه متعجباً ، وسأله عما دعاه إلى ما قام به ، فأجابه بأن الثمرة التى اختلسها كتبت عليه سيئة ، وحينما أنفقها كتبت له عشر حسنات . فرد عليه الشيخ : لقد سرقت الثمرة فكتبت عليك سيئة ، وتصدقت بها فلم تقبل منك ، فإن الله طيب لا يقبل إلا الطيب .

بهذه الروح الواعية يجب أن نفهم الإسلام ، ونقبل عليه ، ونتناول تعاليمه ، فالإسلام دين سمح ، يدعو إلى الرفق واليسر .

فقد روى عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال :

« إن هذا الدين متينٌ فأوغلوا فيهِ برفقٍ »[2].

وقال تعالى :

﴿ لا يُكلِّفُ الله نفساً إلا وسعها ﴾[3].

فعلى المسلم أن يبذل – بقدر طاقته – من طيب ماله ، وأن يتجنب الكسب الخبيث ، فالإنفاق من المال الخبيث يذهب الأجر ، ويبطل الثواب ، ويمحق البركة ، ويدنس طهارته ، ويهدم سماحته .

(٢) اجتناب المن والأذى :

فالإسلام ينهى عن المن بالعطاء والمباهاة بالإنفاق ، وكثرة التشدق بالمعروف والتذكير به ، مما يؤذى المحتاج ، ويكدر نفسه ، ويضيع قيمة البذل ، فالمن مما ينافى الكرم ،

---

(١) أخرجه البخارى : [زكاة –٦] ، وأحمد : [٢/٣٣١،٣٨١،٤١٨] .
(٢) أخرجه أحمد : [٣/١٩٩] وحسنه الألبانى انظر صحيح الجامع : [٢٢٤٦] .
(٣) من الآية (٢٨٦) : سورة البقرة .

وينافى دماثة الخلق ، وسلامة الطبع ، ورقة الخصال ، (ولذلك ينبغى لمصطنع المعروف أن يجتنب الامتنان به ، وأن يتناسى ذكره ، فإن ذلك من تمام الإحسان وتمام البر)[1].

قال تعالى فى صفة المؤمنين :

﴿ الذين يُنفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يُتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون * قولٌ معروفٌ ومغفرةٌ خيرٌ من صدقةٍ يتبعها أذى والله غنىٌ حليمٌ ﴾[2].

وينهانا المولى - سبحانه وتعالى - عن المن والأذى لأنه يبطل الإنفاق ويمحق بركة العطاء .

قال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تُبطلوا صدقاتكم بالمنِّ والأذى ﴾[3].

وروى عن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال :

« **ثلاثةٌ لا يُكلمهمُ الله ، ولا ينظرُ إليهم يومَ القيامةِ ، ولا يُزكيهم ، ولهم عذابٌ أليمٌ** » . قلت : من هم يا رسول الله قد خابوا وخسروا ؟! فأعادها ثلاثاً . قلت : من هم خابوا وخسروا ؟! قال :

« **المُسبلُ ، والمنَّانُ ، والمنفقُ سلعتهُ بالحلفِ الكاذبِ أو الفاجرُ** »[4].

والمنان : الذى لا يعطى شيئا إلا منه .

---

(١) الخلق الكامل : [٤/٢٦٧] .

(٢) سورة البقرة : الآيتان (٢٦٢،٢٦٣) .

(٣) من الآية (٢٦٤) : سورة البقرة .

(٤) أخرجه مسلم : [إيمان -١٧١] ، وأبو داود : [لباس -٢٥] ، والترمذى : [بيوع -٥] ، والنسائى : [زكاة -٦٩] ، [بيوع -٥] ، [زينة -١٠٣] ، وابن ماجة : [تجارات-٣٠] ، وأحمد [٢/١٣٤ ، ٥/١٤٨ ، ١٥١ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٦٨ ، ١٧٦] .

(٣) المبادرة بالعطاء :

يحث الإسلام على المبادرة بالعطاء ، وتعجيل الإنفاق ، وأوجب على المعطى أن يبادر السائل بالبذل .

فقد روى عن جابر – رضى الله عنه – قال :

« ما سُئِلَ النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن شيءٍ فقال : لا »[1].

فالتؤدة محمودة فى كل شيء إلا فى اصطناع المعروف ، فإن التؤدة فيه تنقيص له ، وفى تأخير المعروف دواعٍ تفسد البر وتؤذى الحُرَّ .

فإذا فتح على العبد باب الرزق من سبب فليلزم ذلك السبب ولا يتركه إلى غيره وعليه المسارعة إلى طرق أبواب الخير والصلاح ، والتعجيل بالبر وانتهازه .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : **لكل شيء شرف ، وشرف المعروف تعجيله** .

وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال :

« ألا أخبركم بمن تحرم عليه النارُ غداً ؟ على كُلِّ هينٍ لينٍ قريب سهلٍ »[2].

وجاء فى الأدب المفرد عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال :

« عليك بحُسنِ الكلامِ ، وبَذلِ الطعامِ »[3].

---

(١) أخرجه البخارى : [أدب –٣٩] .

(٢) أخرجه الترمذى : [قيامة –٤٥] ، وأحمد : [٤١٥/١] ، وابن حبان : [٣٦٤/١] ، والبغوى فى شرح السنة : [٨٥/١٣٠] ، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة : [٩٣٥] .

(٣) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد : [٨١١] ، والحاكم : [٢٣/١] ، وصححه ، وابن حبان : [٣٥٦/١] ، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة : [١٩٣٩] ، وصحيح الجامع : [٤٠٤٩] .

ففى تعجيل البذل والمسارعة بالعطاء مراعاة لحال السائل وحفظ لكرامته ، وتخفيف عنه بقضاء حاجته ، وسرعة تلبيته ونجدته ، وهو من المرؤة التى يحرص الإسلام على غرسها فى سلوك المسلم ومعاملاته .

(٤) طلاقة الوجه وطيب اللقاء والبشر :.

فهذا مما يملأ نفس المعطى رحمة ، ويملأ نفس المتلقى بشراً وأمناً ، وقد حث الإسلام على طيب اللقاء وحسن المعاملة ، وطلاقة الوجه عند البذل .

فالموسرون لا يسعون الناس بأموالهم ، ولكن يسعهم منهم بسط الوجهِ وحسنُ الخلقِ ، وقد جاء فى بعض الحديث :

« تبسُّمكَ فى وجه أخيكَ صدقةٌ »[١].

وقد امتدحت العرب هذه الصفة وجعلوها غاية الكرم ، يقول زهير :

أخى ثِقَةٍ ، لا تُتْلِفُ الخمرُ ماله
ولكنَّهُ قدْ يُهلِكُ ، المالَ ، نائِلُهْ
ترَاهُ ، إذا ما جِئْتَهُ ، مُتَهَلِّلاً
كأنكَ تُعطيهِ الذى أنتَ سَائِلُه[٢]

وهو مما يتفاخر به الكرماء ، فيقول حاتم :

أُضَاحِكُ ضَيفى قبلَ إنزالِ رَحلهِ . وَيخصبُ عندى والمَحِلُّ جدِيبُ
وما الخصب للأضياف أن يكثر القـ ـرى ولكنما وجه الكريم خصيب[٣]

(١) الترمذى : [بر -٣٦] ، وصححه الألبانى انظر صحيح الجامع : [٢٩٠٨] .
(٢) شعر زهير بن أبى سلمى : [٥٧] .

يقول : لا يتلف ماله فى شرب الخمر ، ولكنه يتلفه بالعطاء ، وهو مسرور بمن سأله مستبشر به كما يستبشر الإنسان بأن يوصل ويعطى .

(٣) ديوان حاتم الطائى : [٣٣] .

وقد حرص الإسلام على مكارم الأخلاق ، وسعى إلى تأكيد القيم والمثل العليا فى المجتمع ، فدعا المنفق إلى الزهد فيما بين يديه لأنه يفنى وينفذ ، والرغبة فيما عند الله لأنه باقٍ خالدٌ لا يضيع ، فلا يجد المنفقُ حرجاً فيما يبذله ، ولا يشعر ضيقاً مما ينفق .

قال تعالى :

﴿ ما عندَكم ينفدُ وما عندَ الله باقٍ ، ولنجزينَّ الذين صبروا أجرَهم بأحسنِ ما كانوا يعملون ﴾[1].

فإذا فطن المسلم إلى تلك الحقيقة فإنه ينصرف عن الطمع فى الدنيا ، ويزهد فيما فيها ، ويتعلق بالآخرة ، ويطلب ثوابها وخيرها ، فيتضاءل عنده الكثير ، ويحقر لديه الجم العظيم ، فلا يأسى على ما بذل ، ولا يفرح بما حصّل وكسب ، فينفق بسخاوة نفس ، وطيب سريرة ، وطلاقة وجه .

---

(١) سورة النحل : الآية (٩٦) .

الفَصلُ السَّادِسُ

فَضلُ الكَرَمِ

فضل الكرم :

حينما دعا الإسلام إلى الكرم وشجع على السخاء والجود فإنه بَيَّنَ للناس منزلة المنفق وثوابه عند الله يوم القيامة ، ودعا المسلمين إلى احترامه وتبجيله والتغاضى عن هناته ، تشجيعا للمروءة ومكارم الأخلاق .

قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

« تجافُوا عن عُقوبةِ ذى المُروءةِ »[1].

فقد حرص الإسلام على الجود لما فيه من النفع والخير للمجتمع ، ورعاية للفقراء والمحتاجين ، ووقاية لهم من ذل السؤال ، أو التعرض للأغنياء فيراق ماء وجوههم ، أو يخدش حياؤهم .

ومن ثم فقد شجع على البذل والعطاء ، وبين فضله وثوابه ، ومنزلة المنفق عند الله ، وأوضح أن القيم الأخلاقية قيم ثابتة لا تتبدل على مر العصور ، وإنما العبرة بالقصد من وراء تلك القيم .

يقول النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

« تجدون النَّاس معادِنَ ، فخِيارُهم فى الجاهليَّةِ خيارُهم فى الإسلامِ إذا فقهوا »[2].

فهو يعلن أن نقاء الجوهر وعلو الهمة يرفع منزلة صاحبه ويعلى شأنه ، إذا ما أدرك القيمة الحقيقية من وراء ذلك ، بأن يوجه همته وإمكاناته إلى الغايات النبيلة والمقاصد الشريفة التى تهدف إلى خير الإنسان وسعادة البشرية ، وهى تلك

(١) صحيح انظر صحيح الجامع : [٢٩١٤] ، والصحيحة : [٦٣٨] .
(٢) صحيح انظر صحيح الجامع : [٢٩١٦] .

الأهداف التى عنى الإسلام بتحقيقها وصرف الهمة إليها .

وكل من تعلق بشيء من هذه الخلال ، وتخلق بطرف من تلك الخصال وُصِفَ بقدر ما بلغ منها ونال .

وقد وصف الله تعالى أنبياءه بالكرم ، فقال عز وجل :

﴿ وجاءَهم رسولٌ كريمٌ ﴾(١).

وقال جل ثناؤه :

﴿ إنهُ لقول رسولٍ كريمٍ ﴾(٢).

وقال سبحانه وتعالى فى وصف ملائكته :

﴿ كرامٍ بَرَرَةٍ ﴾(٣).

وجاء فى بعض الحديث :

« إن الله كريمٌ يحبُّ الكُرمَاءَ ، جَوادٌ يحبُّ الجودة ، يحبُّ معالى الأخلاقِ ويكرهُ سفسَافَهَا »(٤).

ويكفى بياناً لمنزلة الكرم أنه لا يوصف به إلا كل ما سما قدره ، وشرفت منزلته ، وعلت همته ، وربت قيمته ، ومنه جاء التكريم والإكرام .

والكرم اسم من أسماء الله تعالى ، وصفة من صفاته عزّ وجلّ ، لأنه هو الذى انفرد بالملك والغنى ، وتوحد بالعظمة والثناء والسنا ، واختص بالجاه والسلطان ، « فهو إذا عصى غفر ، وإذا اطلع أمهل وستر ، وإذا وعد وفى ، وإذا أوعد

(١) من الآية (١٧) : سورة الدخان .

(٢) الحاقة : الآية (٤٠) .

(٣) عبس : الآية (١٦) .

(٤) صحيح انظر صحيح الجامع : [١٨٠٠] ، والصحيحة : [١٣٧٨،١٦٢٦] .

عفا ، لا يضيع من لجأ إليه ، ولا يسلم من توكل عليه ، يداه مبسوطتان بالخيرات ، وله خزائن الأرض والسموات ، لا ينازع فى قسمة رزقه ، ولا يراجع فى تدبير خلقه ، فهو الكريم بالإطلاق »[1].

ومن ضروب الكرم الإيثار ، وهو أعلى مراتب الكرم ، لأنه قد يعرض صاحبه للهلاك فداء من آثره ، ومن أعظم صنائع الإيثار ما رواه التنوخى والأبشيهى أنه : « لمّا احترق المسجد بمصر ظن المسلمون أن النصارى أحرقوه ، فأحرقوا خاناً لهم ، وقبض السلطان على جماعة من الذين أحرقوا الخان ، وكتب رقاعاً فيها القتل وفيها القطع وفيها الجلد ، فنثرها عليهم ، فمن وقعت له رقعة فعل به ما فيها . فوقعت رقعة فيها القتل بيد رجل ؛ فقال : ما كنت أبالى لولا أم لى . وكان إلى جانبه بعض الفتيان ؛ فقال : فى رقعتى الجلد وليست لى أم ؛ فادفع إلىَّ رقعتك ، وخذ رقعتى . ففعلا ذلك ؛ فقُتِلَ ذاك ، وجُلِدَ هذا »[2].

ومن أعظم ما جاء فى الإيثار على النفس ما رواه حذيفة العدوى قال : « انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى ، ومعى شيء من ماء ، وأنا أقول : إن كان به رمق أسقيته ، ومسحت به وجهه ؛ فإذا أنا به ، فقلتُ : أسقيك ماء . فأشار إلىَّ - أى نعم - فلمّا همّ أن يشرب إذا برجل يقول : آه ... فأشار ابن عمى - أى انطلق إليه - فجئت إليه ، فإذا هو هشام بن العاص ، فقال : اسقنى . فسمع آخر يقول : آه ... فأشار هشام أى انطلق إليه ، فجئت فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى ابن عمى فإذا هو قد مات »[3].

فأى شيء أعظم من هذا الإيثار الذى تعجز العقول عن تحديد مداه ، وتحار الأفهام فى إدراك كهنه وغايته ؟! .

لقد عظّم الإسلام الكرم والجود ، وغرس حب البذل فى نفوس اتباعه ، لما

---

(١) الخلق الكامل : [٤/٢٦١] .

(٢) انظر : المستجاد : [٣٠] ، والمستطرف : [١٧٢] .

(٣) انظر : المستجاد : [١٤٠] ، والمستطرف : [١٧٢] .

فيه من خير وفضل ، فهو يصون وجه المحتاج عن المسألة ، ويحفظه من مذلة الحاجة ، وينأى به أن يريق ماء وجهه فى طلب المسألة من الناس أعطوه أو منعوه ، تجملوا معه أو سخروا به ، رقوا لحاله أو جفوه واستغلظوا له .

فقدر المسلمون قيمة العطاء ، وحرضوا على التنافس فيه والتسابق إليه ، وعدوا الشح سوء أدب مع الله وسوء ظن بالرازق سبحانه وتعالى ، حتى قال بعض السلف :

« منعُ الموجودِ سُوءُ ظنٍّ بالمعبود »[1].

وبهذه الروح تفهم المسلمون القيمة الحقيقية للثروة والمال ، يقول الإمام على ابن أبى طالب كرّم الله وجهه :

« ما جمعتَ من المالِ فوقَ قوتِكَ ، فإنما أنتَ فيهِ خازنٌ لِغيرِكَ »[2].

وكان – رضى الله تعالى عنه – يقول :

« من كانت لهُ إلَىَّ حاجةٌ فليرفعها إلَىَّ فى كتابٍ لأصُونَ وجههُ عن المسألةِ »[3].

استحياءً من الله – عزّ وجلّ – وتجملاً بالسائل ، ورأفةً بالمحتاج ، حتى لا ينقطع الرجاء فى قلبه ، ولا يقنط فى عسره وشدته .

إنه الأدب الذى ينهل من ينبوع النبوة العذب ، ومورد الإسلام الدائم المتجدد العطاء ، امتلأت به تلك القلوب المؤمنة ، ففاضت سخاءً وجوداً على الحياة والأحياء .

ذَكَرَ الحسنُ – رضى الله عنه – أن طلحة بن عثمان – رضى الله عنه – باع

---

(١) المستطرف : [١٧٣] .

(٢) السابق .

(٣) السابق : [١٧٧] .

أرضاً بسبعمائة ألف درهم « فلما جاءه المال ، قال : إن رجلاً يبيت هذا عنده ، لا يدرى ما يطرقه ، لغدير بالله تعالى ، ثم قسمه فى المسلمين »[1].

ويُروَى أن عبد الله بن أبى بكر – رضى الله عنهما – كان من أجود الأجواد . « وكان – رضى الله تعالى عنه – ينفق على أربعين داراً من جيرانه عن يمينه ، وأربعين عن يساره ، وأربعين أمامه ، وأربعين خلفه ، ويبعث إليهم بالأضاحى والكسوة فى الأعياد »[2].

بهذه الروح الواعية العظيمة والعقيدة الراجحة السليمة استطاع المسلمون الأوائل أن يحققوا المجدين : مجد الدنيا ومجد الآخرة ، ويفوزوا بخير الدارين .

فبنوا مجتمعاً قوياً صالحاً ، ساد العالم زمناً طويلاً ، يستمد قوته من تعاليم الإسلام السمحة ، وعناصر بقائه واستمراره من الإلتزام بالشرع الحنيف ، فقضى على الكثير من المشكلات التى كانت تواجه المجتمع ، والتى لا تزال تهدد العديد من المجتمعات ، كالفقر والبطالة .

وأدرك المسلمون أن مبدأ التكامل رهين بسعادة المجتمع وأمنه ، فسعوا إلى الإنفاق والبذل والعطاء ، يتلمس كل منهم حاجة أخيه فيقضيها له ويرفعها عنه ، فغدا المجتمع قوياً شامخاً ، تسوده روابط المحبة والإخاء كما قال فيهم المولى عزّ وجلّ :

﴿ إنما المؤمنونَ إخوةٌ فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم تُرحمون ﴾[3].

وكما يصفهم الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

« ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثلِ الجسدِ إذا اشتكى عضوٌ

---

(١) السابق : [١٧٣] .

(٢) السابق : [١٧٤] .

(٣) سورة الحجرات : الآية (١٠) .

تداعى لهُ سائرُ جَسَدِهِ بالسَّهر والحُمَّى »[1].

فتضاءلت أمامهم المشاق ، ولانت الصعاب ، واستشعروا القوة فى القرب من الله ؛ فزدادوا قرباً منه وسعياً إليه ، وزهدوا فى الدنيا فأقبلت عليهم فى أجمل زخرفها وزينتها ، كأبهى وأحسن ما تكون .

فدانت لهم الممالك ، وخضعت الملوك ، وآلت إليهم مقاليد الدول والأمور ، وحققوا مجداً لم تغرب الشمس عن مثله .

---

(١) أخرجه البخارى : [أدب –٢٧] ، ومسلم : [بر –٦٦] .

الفَصْلُ السَّابِعُ

إِكْرَامُ الضَّيْفِ

إكـرام الضيـف :

الكرم من أسمى الأخلاق التى تخلق بها المسلمون ، ودعا إليها الإسلام ، وقد وردت أحاديث كثيرة تدعو إلى إكرام الضيف ، وتجعل إضافته واجباً على المسلمين ، يأثم المجتمع كله إذا عجز المضيف عن القيام بحق ضيفه ، أو أخل بواجبات الضيافة ، « فإن قصّر المرء فى حق ضيفه ، وأخلَّ بواجب الضيافة ، فإن حق الضيف يلزم المسلمين جميعاً حتى يأخذ بطعام ليلة من مال مضيفه »(1).

« وقد حرص الإسلام على الحث على حسن الضيافة ، وإكرام الضيف ، لما فيه من بذل للمودة ، وإظهار للحب ، وتقوية للروابط بين المسلمين ، وتدعيم لأواصر المحبة فى القلوب »(2).

فجعل إكرام الضيف من دلائل الإيمان الصادق والعقيدة السليمة ، روى عن أبى شريح الكعبى أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، جائزته يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام ، فما زاد بعد ذلك فهو صدقة »(3).

وعن علىّ – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

« إن فى الجنة غرفا يرى بطونها من ظهورها ، وظهورها من بطونها » .

---

(1) المحبة : [٦٨] .

(2) المحبة : [٦٨] .

(3) أخرجه البخارى : [أدب –٨٥،٣١] ، ومالك : [صفة النبى –٢٢] ، [زكاة –٤٣] ، وأبو داود : [أطعمة –٥] ، وابن ماجة : [أدب –٥٠] .

فقال أعرابى لمن هى يا رسول الله ؟ قال :

« هى لمن طيب الكلام ، وأطعم الطعام ، وأفشى السلام ، وصلى لله بالليل والناس نيام »[1].

ومن آداب الضيافة الصدق فى البذل ، وعدم الرياء ، ومجانبة المن والأذى ، والإخلاص لله ، قال تعالى :

﴿ الذين يُنفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يُتبعونَ ما أنفقوا منا ولا أذىً لهم أجرهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ﴾[2].

وقد كانت العرب مضرب الأمثال فى إكرام الضيف ، فكان ذلك من الفضائل التى ذكرها الإسلام وأعلى شأنها ، ودعا إلى التمسك بها .

ومما يذكر فى ذلك ما رواه قيس بن سعد – وكان مضرب المثل فى الجود – قال :

« نزلنا بالبادية على امرأة ، فجاء زوجها ، فقالت له : إنه نزل بنا ضيفان ؛ فجاء بناقة فنحرها ، وقال : شأنكم . فلما كان من الغد جاء بأخرى فنحرها وقال : شأنكم . فقلنا : ما أكلنا من التى نحرت البارحة إلا القليل ، فقال : إنى لا أطعم ضيفانى البائت . فبقينا عنده أياماً ، والسماء تمطر ، وهو يفعل ذلك ، فلمّا أردنا الرحيل ، وضعنا مائة دينار فى بيته ، وقلنا للمرأة : أعتذرى لنا إليه . ومضينا فلما ارتفع النهار إذا برجل يصيح خلفنا : قفوا أيها الركب اللئام ، أعطيتمونا ثمن قرانا ؟! ثم إنه لحقنا وقال : خذوها وإلا طعنتكم برمحى هذا ، فأخذناها وانصرفنا »[3].

---

(١) أخرجه الترمذى : وهو صحيح انظر صحيح الجامع .

(٢) سورة البقرة : الآية [٢٦٢] .

(٣) المستطرف : [١٧٢] .

فتشربت الروح العربية – فى ظل الإسلام بهذا الكرم العظيم ، وسمت إلى أعلى مراتب الجود والسخاء .

قال أبو الحسن المدائنى :

« خرج الحسن والحسين عليهما السلام – وعبد الله بن جعفر – رضى الله عنه – حجاجاً ، ففاتتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا ؛ فمروا بعجوز فى خباء لها ، فقالوا : هل من شراب ؟ قالت : نعم . فأناخوا إليها ، وليس لها إلا شويهة فى كسر الخيمة ، فقالت : احلبوها وامتذقوا لبنها . ففعلوا ذلك ، ثم قالوا لها : هل من طعام ؟ قالت : لا إلا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهيىء لكم ما تأكلون . فقام أحدهم فذبحها وكشطها ، ثم هيأت لهم طعاماً ؛ فأكلوا وأقاموا حتى أرادوا .

فلما ارتحلوا قالوا لها : نحن نفر من قريش نُريد هذا الوجه ، فإذا رجعنا سالمين فألمى بنا ، فإنا صانعون إليك خيراً .

ثم ارتحلوا ، وأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة ؛ فغضب الرجل ، وقال : ويحك . تذبحين شاتى لقوم لا تعرفينهم ، ثم تقولين : « نفر من قريش » ؟! .

وبعد مدة ألجأتهما الحاجة إلى دخول المدينة ، فدخلاها ، وجعلا ينقلان البعر ويبيعانه ، ويعيشان بثمنه ، فمرّت العجوز فى بعض سكك المدينة ، فإذا الحسن ابن على – عليهما السلام – على باب داره جالس ، فعرف العجوز ، وهى له منكرة ، فبعث إليها غلامه ، فدعاها ، فقال لها : يا أمة الله ، أتعرفيننى ؟ قالت : لا . قال : أنا ضيفك يوم كذا وكذا . قالت : بأبى أنت وأمى . ثم أمر فاشترى لها من شياه الصدقة ألف شاة ، وأمر لها معها بألف دينار ، وبعث بها مع غلامه إلى الحسين – عليه السلام – فقال لها الحسين : بكم وصلك أخى ؟ قالت : بألف شاة وألف دينار . فأمر لها الحسين أيضاً بمثل ذلك ؛ ثم بعث بها مع غلامه إلى عبد الله بن جعفر – رضى الله عنه – فقال لها : بكم وصلك الحسن والحسين ؟ قالت : بألفى دينار ، وألفى شاة . فأمر لها عبد الله بن جعفر – بألفى شاة وألفى دينار ، وقال لها : لو بدأت بى لأتعبتهما . فرجعت العجوز إلى زوجها بأربعة

آلاف دينار ، وأربعة آلاف شاة »[1].

وقد عظم المسلمون حقَّ الضيف ، وبالغوا فى ذلك ، ورووا فيه حكاياتعجيبة ، وقصص فريدة ، فقد حدث الحسن بن خضر قال :

« لما أفضت الخلافة إلى بنى العباس ؛ اختفت رجال من بنى أمية ، وكان ممن اختفى إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك ، حتى أخذ له داود بن العباس أماناً ، وكان إبراهيم رجلاً عالماً حَدِّثاً أديباً فخص بأبى العباس فقال له يوماً : حدثنى عمَّا مرَّ بك فى اختفائك ! قال : كنت يا أمير المؤمنين مختفياً بالحيرة فى منزل شارع على الصحراء ، فبينما أنا على ظهر بيت إذ نظرت إلى أعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة ، فوقع فى روعى أنها تريدنى ؛ فخرجت من الدار متنكراً حتى أتيت الكوفة ولا أعرف بها أحداً أختفى عنده ، فبقيت مدداً ، فإذا أنا بباب كبير ورحبة واسعة ، فدخلت فإذا رجل وسيم الوجه حسن الهيئة على فرس ، قد دخل الرحبة ومعه جماعة من غلمانه وأتباعه ، فقال : من أنت ؟ وما حاجتك ؟ .

فقلت : رجل مختف ، يخاف على دمه استجار بمنزلك . فأدخلنى منزله ، ثم صيَّرنى فى حجرة تلى حرمه ، فكنت عنده فى كل ما أحبُّ من مطعم ومشرب وملبس ، ولا يسألنى عن شيء من حالى ، إلا أنه يركب فى كل يوم ركبة ، فقلت له يوماً : أراك تدمن الركوب ، ففيم ذلك ؟! فقال : إن إبراهيم بن سليمان قتل أبى صبراً ، وقد بلغنى أنه مختف ، وأنا أطلبه لأدرك ثأر أبى منه ، فكثر والله تعجبى من إدبارنا إذ ساقنى القدر إلى حتفى فى منزل من يطلب حتفى ودمى ، وكرهت الحياة ، فسألت الرجل عن اسمه واسم أبيه ؛ فخبرنى ؛ فعرفت أن الخبر صحيح ، وأنى قتلت أباه صبراً ، فقلت : يا هذا ، لقد وجب علىَّ حقُك . مِنْ حقّك أن أدلَّك على خصمك ، وأقرب عليه الخطوة — قال : وما ذاك ؟ قلت : أنا إبراهيم بن سليمان قاتل أبيك ؛ فخذ بثأرك . فقال : إنى أحسبك رجلاً قد مضه الاختفاء فأحببت الموت . فقلت : بل الحق قلت لك ، أنا قتلته يوم كذا وكذا ، بسبب كذا وكذا .

---

(١) المستجاد : [٦، ٧] .

فلما عرف صدق أربَّد وجهه ، واحمرَّت عيناه ، وأطرق ملياً ، ثم قال : أما أنت فستلقى أبى ؛ فيأخذ بثأره منك ، وأما أنا فغيرُ مُخفرِ ذمَّتى ، فاخرج عنى ، فلست آمن من نفسى عليك بعدها .

وأعطانى ألف دينار ، فلم آخذها ، وخرجت من عنده ، فهذا أكرم رجل رأيته ، وهب لى دمى بعد أمير المؤمنين »[1].

ومن ذلك ما روى أن رجلاً دخل على سالم بن قتيبة الباهلى « يكلمه فى حاجة فوضع نعل سيفه على إصبع سالم ، واتكأ يكلمه فى حاجته ، وقد أدماه ، وسالم صابر فلما فرغ الرجل من حاجته وخرج ؛ دعا سالم بمنديل ومسح الدم من إصبعه وغسله ، فقيل له : ألا نحيت رجلك - أصلحك الله - وأمرته برفع سيفه عنها . فقال : خشيت أن أقطعه عن حاجته فيضيق صدره »[2].

وهذا لعمرى هو الجود الحقيقى الذى تتصل أسبابه بأسباب السماء ، وتسمو حتى تخلص لله ، وتبرأ نقية خالصة للمولى عز وجل .

(١) المستجاد : [٢٢،٢٣] .

(٢) المستجاد : [١٤٠] .

الفصل الثامن

إكرام الجار

إكرام الجـار :

عنى الإسلام بالجار أشد العناية ، وبيّن فضله وأشار إلى أثره فى سعادة جاره أو بؤسه ، فالجيرة الصالحة تسعد من حولها ، والجيرة الفاسدة الخبيثة تكدر صفو الحياة على جيرانها ، روى فى بعض الحديث :

« **من سَعَادة المرءِ الجَارُ الصَّالِحُ** »[1].

وعنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال :

« **خيرُ الجيرانِ عند الله خيرهم لجاره** »[2].

واهتم برعايته ودعا إلى تفقده ، وتلمس حاجته ، وكفله والمحافظة عليه وحمايته ، وتحقيق الأمن والسعادة له .

روى عن أبى شريح أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال :

« **والله لا يُؤمنُ ، والله لا يُؤمنُ ، والله لا يُؤمنُ** » . قيل : من يا رسول الله ؟ قال : « **الذى لا يأمنُ جَارهُ بوائِقَه** »[3].

فالنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يضع للمسلمين دستور العلاقة بين الجيران ، ويرسى بذلك أسس الرحمة والمحبة والتعاون بين المسلمين .

فالاهتمام بالجار يبدأ من الجانب الإنسانى والوجدانى ، وهو الذى يزكى

---

(١) أخرجه أحمد : [٤٠٧/٣] .

(٢) أخرجه أحمد : [١٦٨/٢] ، والترمذى : [بر –٢٨] ، والدارمى : [سير –٣] .

(٣) أخرجه البخارى : [أدب –٢٩] ، ومسلم : [إيمان –٧٣] ، والترمذى : [قيامة–٦٠]، وأحمد : [٣٨٧/١، ٢٨٨/٢، ٣٣٦، ٣٧٣، ١٥٤/٣، ٣١/٤، ٣٨٥/٦].

النفوس ، ويثير نوازع الرحمة والخير فيها ، بأن يعين الجار جاره إذا احتاج معونته سواء كان ذلك من الناحية المادية أو المعنوية .

ثم يتدرج ذلك الاهتمام ليشمل واقع الحياة المُعَاش ، ومشكلات الحياة اليومية ؛ فيوصى الجار بمراعاة حال جاره وإمكاناته ، وأن يخفف من وطأة إحساسه بالحاجة والحرمان ، فلا يؤذيه بمظاهر الثراء والنعيم إذا كان لا يستطيع أن يشركه معه فيها ، حتى لا يزيد من آلامه ومعاناته .

روى عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

« من كان يُؤمنُ بالله واليوم الآخر فلا يُؤذِ جاره ، ومن كان يُؤمنُ بالله واليوم الآخرِ فليُكرِم ضيفه ، ومن كان يُؤمنُ بالله واليوم الآخرِ فليقل خيراً أو ليصمت »[(١)].

ويحذر النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم المسلمين من إهمال الجار ، وغمط حقه ، بل إن الأمر يصل إلى حد الخروج عن دائرة الإيمان والإسلام .

يقول النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

« ليس المؤمنُ الذى يشبعُ وجاره جائعٌ إلى جنبه »[(٢)].

قال الشيخ الألبانى عقب هذا الحديث [١٥٤ السلسلة الصحيحة] :

وفى الحديث دليل واضح على أنه يحرم على الجار الغنى أن يدع جيرانه جائعين ، فيجب عليه أن يقدم إليهم ما يدفعون به الجوع ، وكذلك ما يكتسون به إن

---

(١) رواه البخارى : [أدب –٣١] ، ومسلم : [إيمان –٧٧،٧٦،٧٤] ، وابن ماجة : [أدب –٤] ، والدارمى : [أطعمة –١١] ، ومالك : [صفة النبى –٢٢] ، وأحمد : [١٧٤/٢، ٢٦٧، ٤٣٣، ٤٦٣، ٢٤/٥، ٦٩/٦] .

(٢) رواه البخارى فى الأدب المفرد وغيره . وهو صحيح انظر صحيح الجامع .

كانوا عراة ، ونحو ذلك من الضروريات .

ففى الحديث إشارة إلى أن فى المال حقاً سوى الزكاة ، فلا يظن الأغنياء أنهم قد برئت ذمتهم بإخراج زكاة أموالهم سنوياً ، بل عليهم حقوق أخرى لظروف وحالات طارئة ، من الواجب عليهم القيام بها ، وإلا دخلوا فى وعيد قوله تعالى :

﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم تحمى عليها فى نار جهنم ، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾ ا هـ .

وروى عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

« الجارُ أحقُّ بشُفعةِ جاره ينتظرُ بها وإن كان غائباً إذا كان طريقهما واحدٌ »[1].

ويتوعد النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالعقوبة فى الدنيا من يظلمون جيرانهم أو يحجزون حقهم ، ويهملون حاجتهم ، فيقول :

« ما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون ، والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم ، ويأمرونهم وينهونهم ، وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون أو لأعاجلنهم بالعقوبة فى الدنيا »[2].

فالنبى يدعو إلى التفاعل بين الجيران والعطاء المتبادل فيما بينهم لتقوى أواصر المحبة والإخاء فى المجتمع ، وينمو الإحساس بالتراحم والتواد ، ويزاد عمق الشعور بالمسئولية تجاه الآخرين .

---

(١) رواه أبو داود : [بيوع -٧٣] ، والترمذى : [أحكام -٣٢] ، وابن ماجة : [شفعة -٢،١] ، وأحمد : [٣٠٣/٣] . وصححه الألبانى فى صحيح الجامع : [٣١٠٣] .

(٢) الجامع الكبير : رقم [١٨٦٢٩] ، ومجمع الزوائد : [١٦٤/١] .

والقرآن الكريم نفسه يحدثنا عن الجار ، ويدعونا إلى رعايته والاهتمام به والإحسان إليه :

قال تعالى :

﴿ واعبدوا الله ولا تُشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجارِ ذى القربى والجارِ الجُنُبِ والصاحبِ بالجنبِ وابنِ السبيلِ ، وما ملكت أيمانِكم إن الله لا يحبُّ من كان مُختالاً فخوراً ﴾[1].

يروى الطبرى عن ابن عباس فى قوله :

﴿ والجارِ ذى القربىَ ﴾ .

« يعنى : الذى بينك وبينه قرابة »[2].

وعن قتادة قال : إذا كان له جار له رحم فله حقان اثنان : حق القرابة ، وحق الجار »[3].

وقال آخرون :

« معنى ذلك : والجار ذى القربى منكم بالإسلام »[4].

وفى تأويل قوله تعالى :

﴿ والجارِ الجُنُبِ ﴾ .

يذكر عن ابن عباس قوله : « الذى ليس بينك وبينه قرابة »[5].

---

(١) الآية (٣٦) : سورة النساء .

(٢) جامع البيان للطبرى : [٧٨/٥] .

(٣) السابق : [٧٨/٥] .

(٤) السابق : [٧٩/٥] .

(٥) السابق : [٧٩/٥] .

وعن السدى :

« الجار الغريب يكون فى القوم »[1].

وقال آخرون :

« هو الجار المشرك »[2].

وفى تأويل قوله جل شأنه :

﴿ والصَّاحِبِ بالجنبِ ﴾ .

يذكر قول مجاهد وقتادة والضحاك :

« الرفيق فى السفر »[3].

وقال آخرون :

« بل هو امرأة الرجل التى تكون معه إلى جنبه »[4].

وقد أكد الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن حقوق الجار لازمة ملزمة فقد ورد فى الحديث الشريف عن عبد الله بن عمر أنه ذبح شاة فقال : أهديتم لجارى اليهودى ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول :

« ما زال جبريلُ يُوصينى بالجارِ حتَّى ظننتُ أنَّهُ سيورِّثهُ »[5].

---

(١) السابق : [٥/٧٩] .

(٢) السابق : [٥/٨٠] .

(٣) السابق : [٥/٨٠،٨١] .

(٤) السابق : [٥/٨١] .

(٥) رواه البخارى : [أدب – ٢٨] ، ومسلم : [بر –١٤٠،١٤١] ، وأبو داود : [أدب –١٢٣] ، والترمذى : [بر –٢٨] ، وابن ماجة : [أدب –٤] ، وأحمد : [٢/٨٥،١٦٠،٢٥٩،٣٠٥،٤٤٥،٤٥٨،٥١٤،٥/٣٢،٣٦٥،٦/٥٢،٩١،١٢٥،١٨٧، ٢٣٨] .

فإكرام الجار واجب دينى ، والتزام شرعى ، وخلق إسلامى نبيل ، لا يحيد عنه إلا جاحد ، ولا ينكره إلا جاهل .

روى عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول :

« يا نساءَ المسلِماتِ لا تحقرن جارةٌ لجارتها ولو فرسنٌ شاةٍ »(١).

وأولى الجيران بالإكرام أقربهم من جاره ، وألصقهم بداره .

عن عائشة – رضى الله عنها – قلت : يا رسول الله إن لى جارين ، فإلى أيهما أهدى ؟ قال :

« إلى أقربهما منكِ باباً »(٢).

وقد جعل الإسلام للجيران منزلة عظيمة فى الدنيا وفى الآخرة تعظيماً لحقوق الجيران ، وتأكيداً لمكانتهم .

فقد روى فى الحديث :

« ما من عبدٍ مسلمٍ يموتُ يشهدُ لهُ ثلاثةُ أبياتٍ من جيرانهِ الأدنَين بخيرٍ إلا قال الله عز وجل : قد قبلتُ شهادةَ عبادِى على ما علموا ، وغفرت له ما أعلمُ »(٣).

تلك المنزلة التى حدت بالمسلم إلى السؤال عن الجار قبل الدار ، ويعرف قيمة الدار بقيمة جيرانها ، فيرتفع قدرها بارتفاع أقدار الجيران من حولها .

« قيل : عرض محمد بن الجهم داراً له للبيع بخمسين ألف درهم ؛ فلما حضر

---

(١) أخرجه البخارى : [أدب –٣٠] .

(٢) البخارى : [شفعة –٣] ، [أدب –٣٢] .

(٣) الجامع الكبير : رقم [١٩٣٤٥] ، والمسند : [٣٨٤/٢] .

الشهود ليشهدوا ، قال : بكم تشترون مني جوار سعيد بن العاص ؟ . فقالوا : إن الجوار لا يباع . قال : وكيف لا يباع جوار من إن سألته أعطاك ، وإن سكت عنه ابتدأك ، وإن أسأت إليه أحسن إليك ، وإن هجرته عطف عليك . قال : فبلغ ذلك سعيداً ؛ فوجه إليه بمائة ألف درهم ، وقال له : أمسك عليك دارك »[1] .

---

(١) المستجاد : [١٠٨] .

الفَصْلُ التَّاسِعُ

إِكْرَامُ ذِي القُرْبَى

إكرام ذى القربى :

حرص الإسلام على تأكيد رعايته للأرحام ، ودعا إلى توثيق صلة الرحم ، والاهتمام بذوى القرابات ، والإحسان إليهم قبل غيرهم .

وروى عن أبى هريرة – رضى الله عنه – عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال :

« إن الرحم شجنةٌ من الرحمنِ ، فقال الله : من وصلكِ وصلته ، ومن قطعكِ قطعتهُ »[1].

فبناء المجتمع الإسلامى يبدأ من الداخل ، من نطاق الأسرة ويتدرج ليشمل المجتمع كله ؛ ومن ثم كان اهتمامه بالفرد متمشياً مع هذا التدرج ، ومتسقاً وذلك الترتيب ، فرعاية الفرد تبدأ من داخل الأسرة ، وتتدرج إلى ذوى القرابات والأرحام ، ثم الجيران الأدنى فالأقصى ، وهكذا ليشمل المجتمع كله فى النهاية على هذا النسق الفريد البديع .

فرعاية الأبناء فى داخل الأسرة واجبة على الآباء ، وهم – مع ذلك – مثابون على رعايتهم لأبنائهم وتربيتهم لهم ، فما أنفق الرجلُ فى بيتِهِ وأهلِهِ وولدِهِ وخدمِهِ فهو لهُ صدقةٌ .

وحينما يحسن الوالد تربية ولده وتأديبه ، فإنه يُؤْجرُ على ذلك من الله تعالى ، لأنه يحسن إلى المجتمع بتقديم النشء الصالح له ، وهو ما يحث عليه الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

---

(١) أخرجه البخارى : [أدب – ١٣] .

فالمسلم يثاب بالإنفاق على أهله وذوى قرابته .

يقول الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

« إذا أنفقَ المسلمِ نفقةً على أهلِهِ وهو يحتسبها كانت لهُ صدقةٌ »[1].

وعلى المسلم أن يبدأ بأدنى الأقارب ومن يعولهم .

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال :

« خيرُ الصدقةِ ما كان عن ظهر غنى ، وابدأ بمن تعولُ »[2].

وقد حث القرآن الكريم على الإحسان إلى ذوى القربى .

قال تعالى :

﴿ إن الله يأمرُ بالعدلِ والإحسانُ وإيتاءِ ذى القربى وينهى عن الفحشاءِ والمنكرِ والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾[3].

وأوصى ذوى الفضل من المؤمنين بتفقدهم ورعايتهم .

قال تعالى :

﴿ ولا يأتلِ أولو الفضلِ منكم والسَّعةِ أن يُؤتوا أُولِي القربى والمساكينَ والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبونَ أن يغفرَ الله لكم والله غفور رحيم ﴾[4].

وجعل البر فى مودتهم والإحسان إليهم .

---

(١) رواه البخارى : [نفقات–ا] ، ومسلم : [زكاة –٢٩] ، والترمذى : [بر –٤٢] .

(٢) رواه البخارى : [نفقات –٢] .

(٣) الآية (٩٠) : سورة النحل .

(٤) الآية (٢٢) : سورة النور .

قال تعالى :

﴿ ليسَ البرَّ أن تولُّوا وجوهَكم قِبَلَ المشرقِ والمغربِ ، ولكنَّ البرَّ من آمنَ بالله واليومِ الآخرِ والملائكةِ والكتابِ والنَّبيِّينَ وآتى المالَ على حُبِّه ذوى القُربى واليتامى والمساكين وابنَ السبيلِ والسَّائلينَ وفى الرِّقابِ ﴾[1] .

ويخبر المولى عزَّ وجلَّ أن المالَ مالُ الله ، وقد جعل لأهل القربى حقاً فيه ، حتى لا يحتكره دونهم الأغنياء .

قال تعالى :

﴿ ما أفاءَ الله على رسولهِ من أهلِ القرى فللهِ وللرَّسولِ ولذى القُربى واليتامى والمساكين وابنِ السبيلِ كى لا يكونَ دولةً بين الأغنياءِ منكم وما آتاكم الرَّسولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾[2] .

وقال تعالى :

﴿ واعلموا أنما غنمتم من شىءٍ فأنَّ لله خمسهُ وللرسولِ ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيلِ إن كنتم آمنتم بالله ﴾[3] .

ويؤكد القرآن الكريم هذا الحق فى غير موضع ، ويدعو إلى أدائه وإنفاذه .

قال تعالى :

﴿ وآت ذا القربى حقهُ والمسكينَ وابنَ السبيلِ ولا تُبذِّر تبذِيراً ﴾[4] .

وقال جلّ شأنه :

---

(١) من الآية (١٧٧) : سورة البقرة .

(٢) الآية (٧) : سورة الحشر .

(٣) من الآية (٤١) : سورة الأنفال .

(٤) الآية (٢٦) : سورة الإسراء .

﴿ فآتِ ذا القربى حقهُ والمسكينَ وابنَ السبيلِ ذلكَ خيرٌ للذين يُريدونَ وجهَ الله وأولئكَ همُ المفلحون ﴾[1] .

ويدعو المسلمين إلى الرفق بالأقربين والإحسان إليهم .

قال تعالى :

﴿ يسألونكَ ماذا يُنفقونَ قُل ما أنفقتم من خيرٍ فللوالدينِ والأقربينَ واليتامى والمساكينَ وابنِ السبيلِ وما تفعلوا من خيرٍ فإنَّ الله بهِ عليمٌ ﴾[2] .

كما يحث المسلمين على إدخال السرور عليهم بالعطاء لهم إذا ما حضروا القَسمة ، وهى لفتة كريمة من القرآن الكريم تغرس فى المسلم نوازع الرحمة والرفق واللين بذوى القربى وأولى الأرحام .

قال تعالى :

﴿ وإذا حضر القسمةَ أُولو القربى واليتامى والمساكينُ فارزقوهم منهُ وقولوا لهم قولاً معروفاً ﴾[3] .

وأوصى المسلم أن يجعل آخر أعماله – وهو يودع الحياة فى آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة – الإحسان إلى الأقربين وبذل المعروف لهم .

قال تعالى :

﴿ كُتبَ عليكم إذا حضر أحدكمُ الموتُ إن تركَ خيراً الوَصيَّةُ للوالدينِ والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين ﴾[4] .

ويحذر الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم من قطيعة الرحم أو الإساءة لذوى

---

(١) الآية (٣٨) : سورة الروم .
(٢) الآية (٢١٥) : سورة البقرة .
(٣) الآية (٨) : سورة النساء .
(٤) الآية (١٨٠) : سورة البقرة .

القربى ، والبخل عليهم من فضل الله الذى آتاهم ، ورزقه الذى أعطاهم .

يقول النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

« ما من ذى رحمٍ يأتى ذا رحمه فيسأله فضلاً أعطاهُ الله إياهُ فيبخلُ عليه إلا أخرجَ الله لهُ يومَ القيامةِ من جهنمَ حيةً يقال لها : شجاعٌ ، يَتَمَلَّظُ فيطوق به »[1].

وروى جبير بن مطعم أنه سمع النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول :

« لا يدخلُ الجنة قاطعُ رحمٍ »[2].

ويحث صلى الله عليه وعلى آله وسلم على صلة الرحم لأنها مفتاح كل خير ، ومصدر كل نعيم .

روى عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال :

« من أحبَّ أن يُبسطَ لهُ فى رزقِهِ وينسأ لهُ فى أثرِهِ فليصل رحمهُ »[3].

وليس من شك أن صلة الرحم وإيتاء ذوى القربى تحقق للمجتمع الإسلامى عناصر القوة وأسباب الأمن والاستقرار ، وهو ما يسعى إليه الإسلام ، لتحقيق السعادة للوجود الإنسانى ، من خلال رسالته السامية وأهدافه النبيلة .

---

(١) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير [٢/٣٦٦] رقم (٢٣٤٣) ، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد : [٨/١٥٤] . وقال : رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير ، وإسناده جيد . والتملظ : تطعم ما يبقى فى الفم من آثار الطعام .

(٢) رواه البخارى : [أدب – ١١] .

(٣) رواه البخارى : [أدب – ١٢] .

الفَصْلُ العَاشِرُ

كَرَمُ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كرم الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

حينما تقف النفس على أعتاب النبوة تستشرق تلك العظمة المحمدية ، التى تبهر الأرواح ، وتملأ القلوب مهابة وجلالاً ، وتقترب رويداً .. رويداً من تلك الأنوار المبهرة التى تتلألأ فى سماء الهدى والإشراق ، تهدى الضالين إلى سواء السبيل ، وترشد الحائرين إلى طريق الهداية والرشاد ، فتخفق الأفئدة شوقاً وحنيناً ، وتنتشى الأرواح حبّاً ويقيناً .

وتتطلع النفس إلى ينبوع النبوة العذب الدائم ، ومنهلها المتجدد العطاء ، لتتفيأ ظلال السماحة والندى بين أفنانه ، وترتوى من مورد المروءة والهدى بين أغصانه .

وتنطلق النفس لتحلق فى سماء النبوة ، وتنشق من نسماتها الزكية ، وتتعطر من أنوارها السنية .

وتستحضر النفس عظمة النبى الكريم صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذى مدحه المولى عز وجل كأعظم ما يكون المدح ، وأجل ما يكون الثناء .

فقال تعالى :

﴿ وإنكَ لعلى خلقٍ عظيم ﴾[1].

ذلك الخلق الذى ارتبط بالرحمة والرفق ، واتصل بأسباب اللين والتواضع والإخاء .

يقول المولى عزّ وجلّ : ﴿ وما أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ رَحْمَةً لِلعَالَمِين ﴾[2]

(١) الآية (٤) : سورة القلم .
(٢) الآية (١٠٧) : سورة الأنبياء .

وقال جلَّ شأنه :

﴿ فبما رحمةٍ من الله لِنتَ لهم ولو كنتَ فظاً غليظَ القلبِ لانفضوا من حولك ﴾[1].

فقد كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليناً متواضعاً ، وكان أجود من الريح المرسلة ، وكان أجود الناس على الإطلاق .

عن أنس – رضى الله عنه – قال :

« كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحسنَ الناسِ ، وأجودَ الناسِ ، وأشجعَ الناسِ »[2].

وقال ابن عباس رضى الله عنه :

« كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أجود الناس ، وأجودُ ما يكونُ فى رمضانَ حينَ يلقاهُ جبريلُ ، وكان يلقاهُ فى كلِّ ليلةٍ من رمضان فيدارسه القرآنَ ، فلرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أجودُ بالخيرِ من الرِّيحِ المرسلةِ »[3].

وعن جابر – رضى الله عنه – قال :

---

(١) من الآية (١٥٩) : سورة آل عمران .

(٢) رواه البخارى : [أدب –٣٩] .

(٣) رواه البخارى : [بدء الوحى –٥،٦] ، [صوم –٧] ، [مناقب –٢٣] ، [بدء الخلق –٦] ، [فضائل القرآن –٧] ، [أدب –٣٩] ، ومسلم : [فضائل –٤٨،٥٠] ، والترمذى : [جهاد –١٥] ، والنسائى : [صيام –٢] ، وابن ماجة : [جهاد –٩] ، والدارمى : [مقدمة –١٠] ، وأحمد : [٢٣١/١، ٢٨٨، ٣٢٦، ٣٦٣، ٣٦٧، ٣٧٣، ١٣٠/٦] ، وابن سعد : [٣٦٨/١] ، والبغوى : [٣٦٨٧] ، وقال الألبانى : صحيح انظر مختصر الشمائل : [٣٠٣] .

« ما سُئِلَ النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن شيءٍ قط فقال : لا »[1].

وهو ما عناه القرآن الكريم حينما وصفه بالرحمة ولين الجانب والرأفة بالمسلمين ، والتواضع لهم .

قال تعالى :

﴿ لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليهِ ما عنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنينَ رؤوف رحيمٌ ﴾[2].

وقد كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم كريماً جواداً حتى قال عنه أنس بن مالك رضى الله عنه :

« كان النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يدَّخرُ شيئاً لغدٍ »[3].

وروى عن مالك بن دينار قال :

« ما شبعَ رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من خبزٍ قط ، ولا لحمٍ إلا على ضففٍ »[4].

وعن أنس – رضى الله عنه – قال :

« إن النبيَّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يجتمع عنده غداءٌ ولا عشاءٌ من خُبزٍ ولحمٍ إلا على ضَفَفٍ »[5].

---

(١) رواه البخارى : [أدب -٣٩] .

(٢) الآية (١٢٨) : سورة التوبة .

(٣) صحيح الجامع : [٤٨٤٦] ، ومختصر الشمائل : [٣٠٤] ، وقال الألبانى : أستغربه ، ولكن إسناده صحيح على شرط مسلم . وصححه ابن حبان : [٢١٣٩،٢٥٥٠] ، والبغوى : [٣٦٩٠] .

(٤) مختصر الشمائل : [١٠٩] . وقال الألبانى : إسناده صحيح مرسل يعنى : أنه ما شبع فى زمن من الأزمان إلا إذا نزل به الضيوف ، فيشبع حينئذ لضرورة الإيناس والمجابرة .

(٥) وأخرجه ابن حبان : [٢٥٣٣] ، وأحمد : [٢٧٠/٣] ، وابن سعد : [٤٠٤/١] =

إنها صورة رائعة للكرم والإيثار ، ونموذج فريد من العطاء والجود لم تألفه العرب على هذا النحو المتميز الفريد ، فقد « كان الكرم من سجايا النبى – عليه الصلاة والسلام – فطرة وتربية إلهية ، وتوجيهاً من القرآن ، إذ كان الكرم – بمعنى البذل فى سبيل الخير والحق – وما زال وسيلة من وسائل القوة والتعاون والتواد والأمن والصلاح »(١) .

وتلك هى مقاصد الرسالة الإسلامية السمحة التى تهدف إلى سعادة المجتمع ورقيه ، ومن ثم جاء النهى فى القرآن الكريم عن البخل والشح ، ووعيده للأشحاء المقترين .

قال تعالى :

﴿ ولا يحسبن الذين يبخلونَ بما آتاهمُ الله من فضلهِ هو خيراً لهم بل هو شرٌ لهم سيطوقونَ ما بخلوا بهِ يومَ القيامةِ ﴾(٢) .

وقال جلَّ شأنه :

﴿ والذين يكنزونَ الذهبَ والفضَّةَ ولا ينفقونها فى سبيلِ الله فبشرهم بعذابٍ أليم * يوم يُحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾(٣) .

وقد ضرب النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أعظم الأمثلة فى الجود والسخاء .

روى عن سهل بن سعد قال :

« **جاءَت امرأة إلى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ببردَةٍ** . [فقال سهل

= وقال الألبانى فى مختصر الشمائل : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

(١) من أخلاق النبى : [٩٥] .

(٢) من الآية (١٨٠) : سورة آل عمران .

(٣) من الآيتين (٣٤، ٣٥) : سورة التوبة .

للقوم : أتدرون ما البردة ؟ فقال القوم : هى شملة . فقال سهل : هى شملة منسوجة فيها حاشيتها] . **فقالت : يا رسول الله أكسوك هذه . فأخذها النبىُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم مُحتاجاً إليها ، فلبسها ، فرآها عليهِ رجُلٌ من الصحابةِ ، فقال : يا رسولَ الله ما أحسنَ هذهِ فاكسنيها . فقال : نعم . فلما قام النبىُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم لامهُ أصحابه فقالوا : ما أحسنت حين رأيت النبىَّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم أخذها محتاجاً إليها ثم سألته إياها ، وقد عرفتَ أنهُ لا يُسئَلُ شيئاً فيمنعه . فقال : رجوتُ بركتها حين لبسها النبىُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم لعلى أكفنُ فيها »**[1].

وأتاه رجل فسأله ، فأعطاه غنماً سدَّت ما بين جبلين ، فرجع إلى قومه وقال : أسلموا فإن محمداً يُعطى عطاءَ من لا يخشى الفقرَ .

وأتى بمال من البحرين فقال : انثروه فى المسجد ، وكان أكثر مالٍ أُتى به ، فخرج إلى الصلاة ، ولم يلتفت إليه ، فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه ، فما كان يرى أحداً إلاّ أعطاه ، وما قام وثَمَّ منها درهم[2].

وكتب الحديث والسيرة النبوية تحفل بمئات الصور المشرقة التى تبرز عظمة النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى جوده وكرمه ، و « لكن كرم النبى – عليه الصلاة والسلام – كان لوناً آخر جديداً لم يعرفه العرب ، ولم يألفه غيرهم .

فلم يكن جوده لكسب محمدة ، أو اتقاء منقصة ، ولم يكن للمباهاة ، أو الاستغلال ، أو لاجتذاب المادحين ، بل كان فى سبيل الله ، وابتغاء مرضاة الله .

كان فى حماية الدين ، وفى مؤازرة الدعوة ، وفى محاربة الذين يصدون عن سبيل الله»[3].

---

(١) رواه البخارى : [أدب -٣٩] .

(٢) فتح المبدى : [١٩٨/١] .

(٣) من أخلاق النبى : [٩٧] .

ولذا فقد كان كرم النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم إيثاراً على نفسه وأهله ، فكان يبذل الكثير وهو محتاج إلى القليل ، يطوى الأيام جائعاً ولا يردّ سائلاً ، يعيش عيشة الفقراء وهو يعطى عطاء الملوك والأمراء .

الفصل الحادي عشر

صور من الكرم

جابر عثرات الكرام

الأصدقاء الثلاثة

من أسخياء العرب

أسرى معن بن زائدة

كرم قيس بن سعد

شاة الأعمش

أبو مرثد والشاعر

الصديقان

يزيد بن المهلب والعجوز

صور من الكرم :

تحفل كتب الأدب والتاريخ بمئات الصور المشرقة للكرم والجود والسخاء عند العرب ، والتى تبرز بوضوح تقدير العرب للكرم وتمجيدهم لخصال الجود والسخاء ، ومن ثَمَّ فقد حرصوا على تسجيل تلك الصور الرائعة للكرم ، والتنويه بمآثر كرماء العرب .

وهذه طائفة من صور الكرم عند العرب تنبض بالحيوية والصدق ، وتكشف بكل جلاء عن ذلك الخلق الإسلامى النبيل . .

١ - جابر عثرات الكرام .

كان فى أيام سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم رجل يقال له خزيمة بن بشر من بنى أسد بالرقة ، وكان له مروءة ، ونعمة حسنة ، وفضل وبر بالإخوان ، فلم يزل على تلك الحال حتى احتاج إلى إخوانه الذين كان يتفضل عليهم ، فواسوه حيناً ، ثم ملّوه ، فلما لاح له تغيرهم أتى امرأته - وكانت ابنة عمه - فقال لها : يا ابنة عمّى ، قد رأيت من إخوانى تغيراً ، وقد عزمت على لزوم بيتى إلى أن يأتينى الموت .

ثم إنه أغلق بابه عليه وأقام يتقوت بما عنده حتى نَفِدَ ، وبقى حائراً فى حاله ، وكان عكرمة الفياض الربعى والياً على الجزيرة ، فبينما هو فى مجلسه وعنده جماعة من أهل البلد إذ جرى ذكر خزيمة بن بشر فى مجلسه ، فقال عكرمة : ما حاله ؟ فقالوا : صار من سوء الحال إلى أمر لا يوصف ، فأغلق بابه ولزم بيته . فقال الفياض - وإنما سُمِىَ بذلك لأجل كرمه- : فما وجد خزيمة بن بشر مواسياً ولا مكافئاً ؟! قالوا : لا . فأمسك ، ثم لمّا كان الليل عمد إلى أربعة آلاف دينار ؛ فجعلها فى كيس واحد ، ثم أمر بإسراج دابته ، وخرج سِرّاً من أهله ، فركب ومعه غلام من غلمانه يحمل المال ، ثم سار حتى وقف بباب خزيمة ، ثم أخذ الكيس من

الغلام ، ثم أبعده عنه ، وتقدم فدفعه بنفسه ، فخرج إليه خزيمة ، فناوله الكيس ، وقال : أصلح بهذا شأنك . فتناوله ، فرآه ثقيلاً ، فوضعه ثم أمسك بلجام الدابة ، وقال له : من أنت جعلت فداك ؟ فقال : يا هذا . ما جئتك فى هذه الساعة وأنا أريد أن تعرفنى . قال : خزيمة : فما أقبله أو تعرفنى من أنت . قال : أنا جابر عثرات الكرام . قال : زدنى . قال : لا مزيد . ثم مضى ودخل خزيمة بالكيس إلى امرأته ؛ فقال لها : أبشرى فقد أتى الله بالفرج والخير ، ولو كان هذا فلوساً فهو كثير ، قومى فأسرجى . قالت : لا سبيل إلى السراج . فبات يلمسها فيجد خشونة الدنانير ولا يصدّق ، فرجع عكرمة إلى منزله فوجد امرأته قد افتقدته ، وسألت عنه ، فأخبرت بركوبه منفردا ، فارتابت فشقت جيبها ولطمت خدّها ، فلمّا رآها على تلكَ الحال قال لها : ما دهاك؟! قالت : يا ابن عمى غدرت . قال : وما زاك ؟ قالت : أمير الجزيرة يخرج بعد هدوء من الليل منفرداً عن غلمانه فى سرٍّ من أهله إلاّ إلى زوجة أو سرية! قال : لقد علم الله ما خرجت إلى واحدة منهما . قالت : فخبرنى فيم خرجت . قال : يا هذه ، لم أخرج فى هذا الوقت وأنا أريد أن يعلم بى أحد . قالت : لابد أن تخبرنى بالقصة . قال : فاكتميه إذاً . قالت : أفعل .

فأخبرها بالقصة على وجهها ، وما كان من قوله له ورده عليه ، ثم قال لها : أتحبين أن أحلف لك ؟ قالت : لا فإن قلبى قد سكن إلى ما ذكرت .

فلما أصبح خزيمة صالح الغرماء ، وأصلح حاله ، ثم تجهّز يريد سليمان بن عبد الملك بفلسطين ، فلما وقف ببابه دخل الحاجب ، فأخبره بمكانه – وكان مشهور المروءة ، وكان سليمان به عارفاً – فأذن له ، فلما دخل عليه وسلّمَ بالخلافة . قال : يا خزيمة ما أبطأك عنّا ؟ قال : سوء الحال . قال : فما منعك من النهضة إلينا ؟ قال : ضعفى . قال : فبم نهضت ؟ قال : لم أعلم بعد هدوء من الليل إلا ورجل طرق بابى ، فكان منه كيت وكيت ، وأخبره بقصته من أولها إلى آخرها ، فقال له : هل تعرفه ؟ فقال : ما عرفته يا أمير المؤمنين ، وذلك أنه كان متنكراً ، وما سمعت منه إلا « جابر عثرات الكرام » .

فتلهف سليمان على معرفته وقال : لو عرفناه لأعنَّاه على مروءته . ثم قال عليَّ بقناة . فعقد لخزيمة الولاية على الجزيرة التى على عمل عكرمة الفياض ، فخرج خزيمة طالباً الجزيرة ، فلما وصل إليها خرج عكرمة وأهل بلده للقائه فسلم عليه ، ثم سارا جميعاً إلى أن دخلا جميعاً . فنزل خزيمة دار الإمارة ، وأمر أن يؤخذ عكرمة بكفيل ، وأن يحاسب ، فحوسب فوجد عليه فضول كثيرة ، فطالبة بأدائها ، قال : ما لى إلى شىء منها سبيل . قال : لابدَّ منها . قال : ما هى عندى ، فاصنع ما أنت صانع .

فأمر به إلى الحبس ثم بعث إليه يطالبه ، فأرسل إليه : لست ممن يصون ماله بعرضه ، فاصنع ما شئت .

فأمر به فكُبِّل بالحديد ، وضيق عليه ، وأقام كذلك شهراً أو أكثر ، فأضناه ذلك ، وأضرَّ به ، وبلغ ابنة عمه ضُرُّه ، فجزعت واغتمت لذلك ، ثم دعت مولاة لها ذات عقل ، وقالت : امضى الساعة إلى باب هذا الأمير خزيمة بن بشر فإذا دخلت عليه فسليه أن يخليك ، فإذا فعل فقولى له : ما كان هذا جزاء « جابر عثرات الكرام » منك أن كافأته بالحبس والضيق والحديد .

ففعلت ذلك ، فلما سمع خزيمة قولها قال : واسوأتاه ، وإنه لَهُوَ ؟! قالت : نعم . فأمر من وقته بدابته ، فأسرجت ، وبعث إلى وجوه أهل البلد فجمعهم ، وأتى بهم إلى الحبس ، ففتح ، ودخل خزيمة ومن معه ، فلقى عكرمة فى قاعة الحبس متغيراً ، قد أضناه الضر .

فلما نظر إليه عكرمة وإلى الناس أحشمه ذلك ، فنكس رأسه إليه وقال : ما أعقب هذا منك ؟! قال : كريم فعَالك وسوء مكافأتى . قال : يغفر الله لنا ولك .

ثم أمر بالحداد ففك القيد عنه ، وأمر خزيمة أن يوضع فى رجله نفسه ، فقال عكرمة : تريد ماذا ؟ قال : أريد أن ينالنى من الضرِّ مثل ما نالك . فقال : أقسم عليك بالله أن لا تفعل .

فخرجا جميعاً إلى أن وصلا إلى دار خزيمة ، فودّعه عكرمة وأراد الانصراف ،

فقال له : ما أنت ببارح . قال : فماذا تريد ؟ قال : أغير من حالك ما رثَّ ، وحيائى من ابنة عمك أشد من حيائى منك .

ثم أمر بالحمام فأُخلى ، فدخلا جميعاً ، ثم قام خزيمة فتولى خدمته بنفسه ، ثم خرجا ، فخلع عليه وجمَّله ، وحمل إليه مالاً كثيراً ، ثم سار معه إلى داره ، واستأذنه فى الاعتذار من ابنة عمه ، فأذن له ، فاعتذر إليها وتذمم من ذلك .

ثم سأله بعد ذلك أن يسير معه إلى أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك – وهو يومئذ مقيم بالرملة – فأنعم له بذلك ، فسارا جميعاً حتى قدما على سليمان بن عبد الملك ، فدخل الحاجب فأعلمه بقدوم خزيمة بن بشر ، فراعه ذلك وقال : والى الجزيرة يقدم بغير أمرنا ! ما هذا إلا لحادث عظيم .

فلما دخل عليه قال له قبل أن يسلم : ما وراءك يا خزيمة ؟ قال : خيرٌ يا أمير المؤمنين . قال : فما الذى أقدمك ؟ قال : ظفرت بجابر عثرات الكرام ، فأحببت أن أسرَّك لما رأيت من تلهفك عليه ، وتشوقك إلى رؤيته . قال : ومن هو ؟ قال : عكرمة الفياض .

فأذن له بالدخول ، فدخل وسلم عليه بالخلافة ، فرحَّبَ به وأدناه من مجلسه ، فقال له : يا عكرمة ما كان خيرك لخزيمة إلا وبالاً عليك .

ثم قال له : اكتب حوائجك كلها وما تختاره فى رقعة . قال : أوتعفينى يا أمير المؤمنين ؟ قال : لابد من ذلك .

ثم دعا بدواة وقرطاس وقال : اعتزل واكتب جميع حوائجك . ففعل ذلك ، فأمر بقضائها جميعاً من ساعته ، وأمر له بعشرة آلاف دينار ، وبسفطين ثياباً ، ثم دعا بقناة وعقد له على الجزيرة وأرمينيا وأذربيجان .

وقال له : أمر خزيمة إليك ، إن شئت أبقيته ، وإن شئت عزلته قال : بل أردده إلى عمله . ثم انصرفا جميعاً ، ولم يزالا عاملين لسليمان بن عبد الملك مدة خلافته[١] .

---

(١) المستجاد : [١٨–٢٢] .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ – الأصدقاء الثلاثة :

قال الواقدى : كان لى صديقان أحدهما هاشمى والآخر عامى ، وكنا كنفس واحدة فنالتنى ضائقة شديدة ، وحضر العيد ، فقالت لى امرأتى : أما نحن فى أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة ، وأما صبياننا هؤلاء فقد قطّعُوا قلبى رحمة لهم ، لأنهم يرون صبيان جيراننا ، وقد تزينوا فى عيدهم ، وهم على هذه الهيئة ، فلو احتلت فيما نصرفه فى كسوتهم .

قال : فكتبت إلى صديقى الهاشمى أسأله التوسعة علىَّ مما حضر ، فوجَّه إلىَّ كيسا مختوماً ذكر أنه ألف درهم ، فما استقر قراره حتى كتب إلىَّ الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت إلى صاحبى فوجهت إليه الكيس على حاله ، وخرجت إلى المسجد على حالى – فأقمت فيه ليلتى مستحياً من امرأتى – فلما دخلت عليها استحسنت ذلك ، و لم تعنفنى عليه ، فبينا أنا كذلك إذ وافانى صديقى الهاشمى ومعه الكيس على هيئته فقال : أصدقنى فيما فعلته فيما وجهت به إليك فعرفته الخبر على جهته .

فقال : إنك وجهت إلى و لم أملك على الأرض إلا ما بعثت به إليك ، وكتبت إلى صديقنا أسأله المواساة فوجه إلىّ بكيسى هذا وخاتمى عليه .

قال : فأخرجنا للمرأة مائة درهم ، وتقاسمنا الباقى بيننا أثلاثاً ، ونمى الخبر إلى المأمون فدعانى ، وسألنى عنه فشرحت له ما وقع بيننا .

فأمر لنا بسبعة آلاف دينار منها ألف للمرأة ، وألفان ألفان لكل واحد منا[1].

٣ – من أسخياء العرب :

تمارى ثلاثة نفر فى الأجواد .

فقال رجل : أسخى الناس فى عصرنا هذا عبد الله بن جعفر .

---

(١) المستجاد : [٧٥،٧٦] .

فقال الآخر : أسخى الناس قيس بن سعيد بن عبادة .
فقال الآخر : بل أسخى الناس اليوم عرابة الأوسى .

فتنازعوا بفناء الكعبة . فقال لهم رجل : لقد أفرطتم فى الكلام ، فليمض كل واحد منكم إلى صاحبه يسأله ، حتى ننظر بما يعود ، فنحكم على العيان .

فقام صاحب ابن جعفر فوافاه ، وقد وضع رجله فى ركاب راحلته يريد ضيعة له . فقال الرجل : يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ابن سبيل ، ومنقطع به .

قال : فأخرَجَ رجله ، وقال : ضع رجلك واستو على الناقة ، وخذ ما فى الحقيبة ، وكان فيها مطارف خز ، وأربعة آلاف دينار .

ومضى صاحب قيس ، فوجده نائماً ، فقالت له جارية لقيس : ما حاجتك ؟ فقال : ابن سبيل ، ومنقطع به . فقالت له الجارية : حاجتك أهون من إيقاظه ، هذا كيس فيه سبعمائة دينار ، ما فى دار قيس اليوم غيرها ، وامضى إلى معاطن الإبل فخذ راحلة من رواحله وما يصلحها وعبداً ، وامضى لشأنك ...

ومضى صاحب عرابة ، فوجده قد خرج من منزله يريد الصلاة ، فقال : يا عرابة ابن سبيل ، ومنقطع به . وكأن معه عبدان ، فصفق بيده اليمنى على اليسرى ، وقال : أواه أواه والله ما أصبح ولا أمسى الليلة عند عرابة شيء ، ولا تركت له الحقوق مالاً ، ولكن خذ هذين العبدين .

فقال الرجل : والله ما كنت بالذى يسلبك عبديك .
فقال : إن أخذتهما أو لا فهما حران لوجه الله تعالى ، فإن شئت فخذ ، وإن شئت فأعتق .

فأخذ الرجل العبدين ومضى ، ثم اجتمعوا وذكروا قصة كل واحد فحكموا لعرابة لأنه أعطى على جهده[١] .

---

(١) المستطرف : [١٨١، ١٨٢] بتصرف يسير .

٤ - أسرى معن بن زائدة :

أتى معن بن زائدة بأسرى ، فعرضهم على السيف ؛ فقال له بعضهم : نحن أسراك أيها الأمير ، ونحن جياع .

فأمر لهم بشيء من الطعام فأحضر ، وأُتى بأنطاع الدم فبسطت ، وأُتى بالطعام ؛ فقال لأصحابه : امعنوا فى الأكل . ومعن ينظر إليهم ، ويتعجب منهم .

فلما فرغوا من أكلهم قام قائماً وقال : أيها الأمير قد كنا أسراك ، ونحن الآن أضيافك . فانظر ماذا تصنع بأضيافك ؟ .

فعفا عنهم وخلَّى سبيلهم ، فقال له بعض من حضر : ما تدرى أيها الأمير أى يوميك أسر وأشرف : أيوم ظفرك أم يوم عفوك ؟![1].

٥ - كرم قيس بن سعد :

قيل : مرض قيس بن سعد بن عُبادة ، فلم يزره إخوانه ، فاستبطأهم ؛ فقيل له : إنهم يستحيون ممَّا لك عليهم من الدين .

فقال : أخزى الله مالاً يمنع الإخوان من الزيارة .

ثم أمر منادياً فنادى : من كان لقيس عليه حق فهو منه فى حِلٍّ . قال : فانكسرت درجتُه من شدة الزحام بالمشى لكثرة من عاده[2].

٦ - شاة الأعمش :

قال الأعمش :

كانت عندى شاة فمرِضَتْ ، وفقد الصبيان لبنها ، فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشى ، ويسألنى : هل استوفت علفها ؟ .

---

(١) المستجاد : [١٤٩] .

(٢) المستجاد : [١٢٥] ، والمستطرف : [١٧٤] .

وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها ؟ .

وكان تحتى لبد أجلس عليه ، فكان إذا خرج يقول : خذ ما تحت اللبد . حتى وصل إلىَّ من عِلّة الشاة أكثر من ثلثمائة دينار من برّه ، حتى تمنيت أن الشاة لم تبرأ[1] .

٧ – أبو مرثد والشاعر :

كان أبو مرثد أحدَ الكرماءِ ، فمدحه بعض الشعراء ، فقال للشاعر : والله ما عندى ما أعطيك ، ولكن قدّمنى إلى القاضى ، وادَّع علىَّ بعشرة آلاف درهم ، حتى أقرَّ لك بها ، واحبسنى فإن أهلى لا يتركوننى محبوساً .

ففعل ذلك ، فلم يُمْسِ حتى دُفِعَتْ إليه عشرَة آلاف درهم ، وأُخرِجَ أبو مرثد من الحبس[2] .

٨ – الصديقـــان :

قصد رجل إلى صديق له ، فَدَقَّ عليه الباب ، فخرج إليه وسأله عن حاجته ، فقال : علىَّ دين كذا وكذا .

فدخل الدار ، وأخرج إليه ما كان عليه ، ثم دخل الدار باكياً . فقالت له زوجته : هلا تعللت حيث شقت عليك الإجابة . فقال : إنما أبكى لأنى لم أتفقد حاله ، حتى احتاج إلى أن يسألنى[3] .

٩ – يزيد بن المهلب والعجوز :

مَرَّ يزيد بن المهلب عند خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز – رضى الله تعالى عنه – بعجوز أعرابية ، فذبحت له عنزاً ، فقال لابنه : ما معك من النفقة .

---

(١) المستطرف : [١٨١] .
(٢) المستجاد : [١٢٣] .
(٣) المستطرف : [١٧٣،١٧٤] .

قال : مائة دينار . قال : ادفعها إليها . فقال : هذه يرضيها اليسير ، وهى لا تعرفك . قال : إن كان يرضيها اليسير فأنا لا أرضى إلا بالكثير ، وإن كانت لا تعرفنى فأنا أعرف نفسى[1] .

(١) المستطرف : [١٧٦] .



الخَاتِمَةُ

وبعــد :

فإن الكرم والجود من أكثر الصفات تأثيراً فى المجتمع ، وأقربها إلى الأرواح والقلوب، لما لها من الأثر العظيم فى المشاعر والنفوس .

وقد عرف الإسلام للكرم تلك الميزة الفريدة ؛ فوجهه نحو خير المجتمع ورقيه وسعادته ، وحثّ أصحاب الهمم العالية والنفوس السامية إلى البذل والعطاء لإخوانهم ، لتقوى بذلك أواصر الرحمة والمحبة بينهم ، ويضع بذلك أسس الأمن والرخاء فى المجتمع .

ومن هنا كانت عناية الإسلام الشديدة بالحث على البذل والعطاء ، وحمله على مظاهر البخل والشح والتقتير .

يقول النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

« ما من عبدٍ أنعمَ الله عليهِ بنعمةٍ فأسبغها ، ثم جعلَ إليهِ شيئاً من حوائجِ الناسِ فتبرمَ ، فقد عرضَ تلكَ النعمةَ للزوالِ »[1] .

فتشربت نفوس المسلمين بتلك التعاليم السامية العظيمة ، وتسابق المؤمنون إلى تلبية داعى الكرم ونداء السماحة والندى .

وضربوا فى ذلك أعظم الأمثلة ، ومن ذلك ما روى عن جابر قال :

« أمر أبى بخريزةٍ فصنعت ، ثم أمرنى فأتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأتيته وهو فى منزله ، فقال : ماذا معكَ يا جابرُ ، ألحمٌ ذا ؟ قال جابرُ : قلتُ : لا . فأتيتُ أبى . فقال : يا بنى ، هل رأيت النبىَّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؟ قلتُ : نعم . قال : فهل سمعتهُ يقولُ شيئاً ؟ قلتُ : نعم . قال : ماذا معكَ يا جابرُ ، ألحمٌ ذا ؟ قال : لعلَّ رسولَ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اشتهى اللحمَ . فأمر بشاةٍ لنا فذُبحت ، ثم أمر بها فشويت ، ثم أمرنى

(١) ذكره الهيثمى فى المجمع [١٩٢/٨] وقال : رواه الطبرانى فى الأوسط وإسناده جيد .

فأتيتُ بها النبىَّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فقال : ماذا معكَ يا جابرُ ؟ فأخبرته فقال : جزىَ الله الأنصارَ عنا خيراً لا سيما عبدُ الله بنِ عمرو بن حرامٍ وسعدُ بن عبادة »[1].

فقد أدرك هؤلاء تلك الحقيقة الأبدية الخالدة التى عرفها أجدادهم ، ونادى بها القدماء فيهم ، والتى عبّر عنها شاعرهم بقوله :

فلا الجودُ يُفنِي المَالَ قَبلَ فَنَائِه
ولا البُخلُ فى مالِ البخيلِ يَزيدُ .
فلا تلتمِسْ مالاً بِعَيشٍ مُقَتَّرٍ
لِكُلِّ غدٍ رزقٌ جَديدُ يَ
ألم ترَ أن المالَ غَادٍ ورائِحٌ
وأن الذى يُعْطِيكَ غيرُ بَعِ

وذلك هو الفارق بين الجوادِ والبخيل ، فالأول يرى المال وسيلة لتح ومقاصد كثيرة ، بينما يرى الأخير أن المال هو الهدف والغاية التى يسعى من اجلها ، ويجده محور الحياة والوجود ، فيدور فى فلكه ، ولا يرى شيئا سواه ، وينصرف إليه بكل كيانه ، فيجدُّ فى طلبه والحصول عليه وكنزه ، فيصير أسيراً للمال الذى طلبه ، يستحوذ عليه وهم الثروة ونزعة الامتلاك ، فيجد السعادة إلى دنانيره ، ويرى الشقاء فى فقد درهم منها .

فيبخل على نفسه ، ويضيق على من حوله ، وكلما ازداد ثراءً زاد تقتيرا على نفسه وشحاً على أهله .

وقد صور حاتم ذلك أدق تصوير فى لاميته الشهيرة ، وهو يعاتب زوجته

(١) أخرجه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة : [٢٧٦] ، وذكره الهيثمى فى المجمع [٣٤،٣٣/١٠] ، وقال : رواه أبو يعلى بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح غير إبراهيم بن حبيب بن الشهيد وهو ثقة .
(٢) ديوان حاتم الطائى : [٤٦] .

نوار حينما لامته على جوده واتهمته بالإسراف :

مهلاً نُوَارُ أقِلِّي اللومَ والعذلا ... ولا تقولِي لشيءٍ فاتَ : ما فعلا ؟
ولا تقولى لمالٍ كُنتُ مُهلِكَهُ مهـ ... ـلاً وإن كُنتُ أُعطى الجن والخبلا
يَرَى البخيلُ سبيلَ المالِ واحدةً ... إن الجوَادَ يرى فى مالهِ سُبُلا
إن البخيلَ إذا ما ماتَ يتبعهُ ... سوءُ الثناءِ ، ويحوى الوارثُ الإبلا
فاصدُقْ حديثكَ إن المرءَ يَتْبَعُهُ ... ما كان يبنى إذا ما نعشه حملا
ليت البخيلَ يراهُ الناسُ كُلهمُ ... كما يراهم فلا يقرى إذا نزلا
لا تعذلينى على مالٍ وصلتُ بهِ ... رحماً وخيرُ سبيلِ المالِ ما وصلا[1]

وقد حرص الإسلام على تنظيم الإنفاق ، وتوجيه العطاء ، ليحقق الغايات المرجوة منه ؛ فاتجه به نحو ذوى القربى وأولى الأرحام ، وتدرج ليشمل المجتمع كله فى النهاية .

هذا التدرج الذى ينطلق من الخصوص إلى العموم ليحقق الاستفادة من البذل والعطاء ، ويدعم أواصر المحبة والتعاون بين أفراد المجتمع ، إذ أنه يحقق مبدأ التكافل فى المجتمع ، ويقلل من الفوارق الطبقية فيه ، علاوة على ما ينشره فيه من المودة والإخاء والتعاون نتيجة لذلك البذل والجود ، فيقوى المجتمع ويسعد أفراده .

فعلينا أن نتمسك بتلك المقاصد السامية العظيمة ، والأخلاق العالية الرفيعة ، لنحقق العزة والسعادة لأمتنا ومجتمعنا ، مصداقاً لقول الله عزّ وجلّ :

﴿ كُنتم خيرَ أُمةٍ أُخرجت للناسِ تأمرون بالمعروفِ وتنهونَ عنِ المنكرِ وتُؤمنون باللهِ ﴾[2] .

والله نسأل أن يوفقنا ويهدينا إلى ما فيه الخير والتقى والرشاد .

سمير حلبى

---

(١) السابق : [٧٦] .
(٢) من الآية (١١٠) : سورة آل عمران .

(المصادر والمراجع)

(١) الألفاظ الكتابية : لعبد الرحمن بن عيسى الهمذانى – ط . دار الكتب العلمية – بيروت – سنة ١٤٠٠ هـ /١٩٨٠م .

(٢) الترغيب والترهيب : لزكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى – ط . مكتبة أسامة الإسلامية بالأزهر .

(٣) التعريفات : للعلامة على بن محمد الشريف الجرجانى – تحقيق : جوستاف فلوجل – ط . مكتبة لبنان – بيروت – سنة ١٩٦٩م .

(٤) جامع البيان عن تأويل آى القرآن : لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى – ط . شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى – سنة ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨م .

(٥) الجامع الصغير للسيوطى (مع شرحه : فيض القدير) : ط . مصطفى محمد – القاهرة – سنة ١٣٥٦ هـ .

(٦) الخلق الكامل : لمحمد أحمد جاد المولى – (الجزء الرابع) – ط . المطبعة العثمانية المصرية – الطبعة الأولى – سنة ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م

(٧) ديوان حاتم الطائى : تحقيق /د . مفيد محمد قميحة – ط . دار المطبوعات الحديثة – جدة – سنة ١٤٠٨ هـ .

(٨) الذريعة إلى مكارم الشريعة : لأبى القاسم الحسين بن محمد بن المفضل – المعروف بالراغب الأصفهانى – تحقيق / د . أبو اليزيد العجمى – ط . دار الصحوة بالقاهرة / دار الوفاء بالمنصورة – سنة ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

(٩) سنن الحافظ أبى عبد الله بن يزيد القزوينى : تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقى – ط . المكتبة العلمية – بيروت .

(١٠) شعر زهير بن أبى سلمى : صنعة الأعلم الشنتمرى – تحقيق : د . فخر الدين قباوة – ط . دار الآفاق الجديدة – بيروت – سنة ١٤٠٠ هـ .

(١١) الشفا : للقاضى أبى الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبى – ط . دار التراث بالقاهرة .

(١٢) صحيح البخارى (بحاشية السندى) : ط . دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابى الحلبى .

(١٣) صحيح الجامع الصغير وزيادته : محمد ناصر الدين الألبانى – ط ٢ . المكتب الإسلامى بيروت – سنة ١٤٠٦ هـ .

(١٤) صحيح سنن المصطفى : لأبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى – ط . دار الكتاب العربى بيروت .

(١٥) صحيح مسلم (بشرح الإمام النووى) : مسلم بن الحجاج – ط . الحلبى سنة ١٣٧٤ هـ .

(١٦) عمل اليوم والليلة : لأبى بكر بن السنى – خرّج أحاديثه وعلّق عليه / عبد الله حجاج – ط . مكتبة التراث الإسلامى .

(١٧) فضل العطاء على العسر : لأبى هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى – صححه وحققه وعلق عليه / محمود محمد شاكر – ط . المطبعة السلفية – القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ .

(١٨) فقه اللغة وسر العربية : للإمام أبى منصور إسماعيل الثعالبى النيسابورى – ط . دار الكتب العلمية بيروت .

(١٩) فى تاريخ الأدب الجاهلى : د . على الجندى – ط . دار المعارف بمصر – سنة ١٩٨٤ م .

(٢٠) كشف الخفاء ومزيل الإلباس : للشيخ إسماعيل بن محمد العجلونى – صححه / أحمد القلاش – ط . دار التراث بالقاهرة .

(٢١) المحبة : سمير حسين حلبى – ط . مكتبة الصحابة بطنطا – الطبعة الأولى – سنة ١٩٨٨ م .

(٢٢) مختصر الشمائل المحمدية : للإمام أبي عيسى محمد بن سورة الترمذى – اختصره وحققه / محمد ناصر الدين الألبانى – ط ١ . المكتبة الإسلامية – عمان – سنة ١٤٠٥ هـ .

(٢٣) المستجاد من فعلات الأجواد : لأبى القاسم على بن عبد المحسن بن عبد المنعم التنوخى . تحقيق / الشيخ يوسف البستانى – ط . دار العرب للبستانى – القاهرة سنة ١٩٨٥ م .

(٢٤) المستطرف من كل فن مستظرف : للإمام شهاب الدين بن محمد الأبشيهى – تحقيق / عبد الله أنيس الطباع – ط . دار القلم – بيروت – سنة ١٩٨١ م .

(٢٥) مشارق الأنوار على صحاح الآثار : للقاضى أبى الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبى – ط . المكتبة العتيقة بتونس / دار التراث بالقاهرة .

(٢٦) مسند أحمد بن حنبل : ط . دار صادر – بيروت . عن ط . الميمنية بالقاهرة – سنة ١٣١٣ هـ .

(٢٧) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى : د.أ.ى. ونسنك – ط . بريل سنة ١٩٣٦ م .

(٢٨) من أخلاق النبى : د . أحمد محمد الحوفى – ط . دار نهضة مصر بالقاهرة – سنة ١٩٧٩ م .

(٢٩) موطأ مالك : تصحيح / محمد فؤاد عبد الباقى – ط . عيسى البابى الحلبى بالقاهرة – سنة ١٣٧٠ هـ .



فهــرس الموضوعــات

عنيت بطبعة

شركة الفتح للطباعة

مدينة ٦ أكتوبر ـــ المنطقة الصناعية الثانية
قطعة ٢١٩ /أ ـــ ت : ٠١١ ٢٠٠٩٤٩


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

متن الآجرومية

في

علم أصول وفروع العربية

تأليف

أبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي الفاسي

المعروف بابن أجروم ٦٧٢هـ

دراسة وتحقيق

د. صبحي رشاد عبد الكريم

كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

دار الصحابة للتراث

للنشر والتحقيق والتوزيع

أول شارع المديرية - بجوار بنك قناة السويس

١١ شارع محمد فريد

ص.ب : ٤٧٧